الجـامــعة الإسـلامــيـة –غـزة
عمـادة الـدراســـات العـــلـيا
كـلـــــيـة أصـــول الـــديـن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



التساقط في العمل الإسلامي ودور العقيدة في معالجته

إعداد الطالبة:
أمل أحمد حافظ شراب

إشراف:
د. يحيى علي يحيى الدجني

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

1432هـ – 2011م



{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ *وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الأنفال:24–25)

إهداء

إلى والديّ الحبيبين حفظهما الله، لبذلهما كل الجهد في تربيتي وإخوتي التربية الصالحة القويمة...

وإلى زوجي الغالي، وبناتي الحبيبات؛ لتحملهم انشغالي عنهم وتقصيري تجاههم أثناء إتمام دراستي الجامعية...

إلى روح خالي الطاهرة والد زوجي الدكتور عمر يوسف سكيك رحمه الله...

وإلى أم زوجي العزيزة والتي كان لها الفضل عليّ بعد الله تعالى في تشجيعي على إكمال دراستي الجامعية...

وإلى إخوتي محمود وحافظ وحسن وخليل، وأخواتي دعاء وسلمى وناريمان وأسماء؛

لبذلهم الجهد في مساندتي طوال فترة كتابتي لهذا البحث...

وإلى أهلي وأحبتي...

وإلى المسلمين والمسلمات في كل مكان وزمان...

أهدي هذا الجهد المتواضع...

راجيةً من الله عز وجل التوفيق والقَبول والسداد...

الباحثة

أمل أحمد شراب

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد أن منَّ الله عليِّ بإكمال هذه الدراسة، حسبي أن أتقدم بالشكر إلى كل من مدَّ يد العون والمساعدة في إتمام هذا العمل المتواضع ولذا أتقدم بكل الشكر والتقدير إلى الجامعة الإسلامية صرح العلم والعمل؛ لتسهيلها إكمال الدراسة العليا لطلاب وطالبات الكليات الشرعية...

كما وأشكر مكتبة الجامعة الإسلامية لتوفيرها الخدمات المتميزة لطلبة الدراسات العليا وتوفيرها الكتب اللازمة لكتابة البحوث العلمية...

كما أتقدم بالشكر والتقدير لمشرفي وأستاذي الفاضل الدكتور يحيى علي الدجني وذلك لبذله الجهد في توجيهي وإرشادي ومتابعتي والصبر عليّ أثناء عملي في كتابة البحث، حتى استوى على سوقه...

وأتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي الكريمين اللذان تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وهما فضيلة الدكتور أحمد جابر العمصي رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين والدكتور عماد الدين عبد الله الشنطي لهما مني جزيل الشكر...

وأتقدم بالشكر الجزيل للدكتور خليل عبد الفتاح حماد نائب مدير عام الإشراف والتدريب والمناهج في وزارة التربية والتعليم؛ لتكرمه بالتدقيق اللغوي لرسالتي...

وأشكر أساتذتي الأفاضل في كلية أصول الدين عامة وفي قسم العقيدة خاصة الذين رافقتنا نصائحهم طوال فترة الماجستير...

كما وأشكر زوجي العزيز ورفيق دربي حسام لتهيئته الظروف والأجواء المناسبة أثناء كتابتي للبحث، فله مني جزيل الشكر...

لهم مني جميعاً كل الشكر والتقدير...

الباحثة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أهمية الدراسة وأسباب اختيارها:

لقد كان من سنة الله في خلقه، أن بعث منهم أنبياء ورسلاً، مبشرين ومنذرين، مبلغين رسالات ربهم، داعين إلى توحيد الله تعالى، مرشدين الناس إلى طريق الخير والحق المبين، قال تعالى: **{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**(البقرة:213) .

فكان لهؤلاء الرسل والأنبياء أتباع مصدقون لهم ولدعواهم، متبعون هداهم يدعون إلى الله – تعالى– وإلى توحيده واتباع أوامره ونواهيه، حملوا على عاتقهم همَّ تبليغ الرسالة وتأدية الأمانة.

وكان من بين هؤلاء الأتباع شرذمة قليلون، استبدلوا نعمة الله التي أنعمها عليهم من العلم والهداية بما هو دونها، فترك بعضهم الدعوة وأقلع عن التذكير بآيات الله، وانسلخ بعض آخر من هذه النعمة وهذه الدعوة بكل جهل وجحود، فكان مثله كمثل من قال تعالى فيه: **{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}(الأعراف:175).**

فأصبح بعد انسلاخه عن عقيدة الحق يدعو إلى الباطل والضلال ويغوي ويشوه صورة الحق، أو يكتفي بالإقلاع عن الدعوة للحق.

والتساقط ظاهرة متكررة عبر التاريخ مع أتباع الأنبياء والرسل، فتجد أناساً أعطاهم الله العلم والعمل، ورزقهم الهداية، وكانوا قدوة ومثلاً أعلى، دعاةً إلى العقيدة الصحيحة القويمة ، ثم – ولأسباب معينة– تركوا هذا الخير، وتلكم النعمة فانحازوا لما هو أدنى منها، الأمر الذي يستلزم من الباحثين، والدعاة الغيورين على واقع الأمة أن يسهموا بأقلامهم في تحليل هذه الحالة؛ للوقوف على أسبابها ومن ثم سبل معالجتها، وهو ما يعكس أهمية هذه الدراسة.

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع:

1- ما نراه متكرراً في واقعنا الإسلامي اليوم، من تردي عدد من دعاة الحق وأصحاب العمل الإسلامي المخلص إلى هاوية الانحراف والانقلاب على الحق، فلعلنا بهذه الدراسة نقف على الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة، لنضع المنهجية الصحيحة للوقاية منها وعلاجها من خلال العقيدة الإسلامية، عقيدة التوحيد والحق المبين.

2- عدم وجود أي دراسة علمية متخصصة تعنى بدراسة هذا الموضوع في حدود علم الباحثة.

أهداف الدراسة في هذه الظاهرة:

1. بيان خطر هذه الظاهرة على العقيدة بالدرجة الأولى بسبب تشويه المتساقطين لهذه العقيدة.
2. إظهار خطر هذه الظاهرة على الدعوة والعمل الإسلامي.
3. توضيح الآثار المترتبة من وجودها على العمل الإسلامي وعلى المجتمع الإسلامي.
4. اقتراح الحلول العلاجية لظاهرة التساقط في العمل الإسلامي.

منهج الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، فقمت بوصف الظاهرة من حيث أشكالها وصورها واستحضار النماذج عليها، ومن ثم تحليلها للوقوف على الأسباب التي أدت إلى حدوثها، ومن ثم علاجها وسبل الوقاية منها.

عملي في الدراسة:

1- تخريج الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتمييز الآيات القرآنية بوضعها بين هلالين بهذا الشكل { }، وتوثيقها في متن الرسالة.

2- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة بعزوها إلى مظانها، ونقل حكم العلماء عليها، وتمييز الحديث النبوي الشريف بوضعه بين هلالين بهذا الشكل ( ).

3- توثيق الكتاب كاملاً عند أول اقتباس منه، وذلك بذكر اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم المحقق، رقم الجزء، رقم الصفحة، رقم الطبعة، دار النشر، بلد النشر، تاريخ النشر، وفي حالة عدم وجود دار النشر أو رقم الطبعة أو تاريخها، أكتب دون دار النشر أو دون رقم الطبعة أودون تاريخ.

4- في حالة الاقتباس من الكتاب نفسه بعد ذلك، يكون التوثيق بذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة فقط، وإذا كان الاقتباس من الكتاب نفسه بعده مباشرة، أكتب: السابق، ورقم الصفحة .

5- إذا زاد اسم الكتاب عن ثلاث كلمات، أختصر الاسم بشكل مفهوم.

6- في حالة وجود الاسم نفسه لأكثر من كتاب، أذكر اسم المؤلف للتمييز.

7- في حالة الاقتباس النصي، أضع النص بين علامتي تنصيص بهذا الشكل " "، وأوثق في الحاشية دون لفظ انظر، أما في حالة الاقتباس بالمعنى، فلا أضع علامات تنصيص ويُشار في الحاشية بلفظ انظر.

8- في حالة الاقتباس النصي، وترك شيء من النص الأصلي، أضع مكانه ثلاث نقاط.

9- وفي حالة رجوع الباحثة إلى مرجع دون أن تقتبس منه شيئاً، وهذا المرجع يتضمن معلومات موسعة حول نقطة معينة يشار إليها بلفظ راجع.

10- في حالة الاقتباس من المجلات والصحف والدوريات يكون التوثيق بذكر عنوان المقال، كاتب المقال، الصحيفة أو المجلة أو الدورية، البلد، العدد، السنة، التاريخ، الصفحة، وإذا تكرر الاقتباس من الصحيفة نفسها أو المجلة أو الدورية أكتفي بذكر عنوان المقال، اسم الصحيفة أو المجلة أو الدورية، رقم الصفحة.

11- حين الاقتباس من مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، يكون التوثيق بذكر كلمة البحث، يوم وتاريخ البحث ، اسم الموقع الذي تم الاقتباس منه، ثم اسم المقال أو عنوان البحث، وإذا تكرر الاقتباس من الموقع نفسه في اليوم ذاته أذكر البيانات السابقة وأكتب التاريخ السابق نفسه.

12- قمت بالترجمة للصحابة الذين وردت أسماؤهم في الدراسة من غير المبشرين بالجنة أو نساء النبي ﷺ، وذلك بالرجوع إلى كتب الرجال والتراجم.

13- قمت بالترجمة للفرق والجماعات الواردة في الدراسة، بالرجوع إلى كتب الفرق.

14- الفهارس: تم وضع فهارس للآيات القرآنية، وقد رتبتها حسب ورودها في المصحف الشريف، والأحاديث النبوية الشريفة، وفهرسٍ للأعلام المترجم لها مرتبة ترتيباً هجائياً.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية تتناول هذه الظاهرة بالبحث والبيان، ولكنني وقفت على كتيب للأستاذ فتحي يكن، بعنوان (المتساقطون على طريق الدعوة، كيف ولماذا؟)، يتحدث فيه –على

عجالة– وفي خطوط رئيسية عن هذه الظاهرة، ويذكر نماذج من زمن النبوة، مبيناً بعض الأسباب التي تؤدي لحصول هذه الظاهرة.

وقد قسمت الدراسة إلى: مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة موزعة على النحو الآتي:

المقدمة : تشتمل على أهمية الدراسة وأسباب اختيارها، وأهدافها، ومنهج الباحثة فيها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.

التمهيد– مفهوم العمل الإسلامي والتساقط.

أولاً– مفهوم العمل الإسلامي.

ثانياً– مفهوم التساقط في العمل الإسلامي.

الفصل الأول– أسباب ظاهرة التساقط في العمل الإسلامي :

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول– الأسباب الداخلية:

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول– الأسباب المتعلقة بالفرد.

المطلب الثاني– الأسباب المتعلقة بالمحيط الاجتماعي.

المطلب الثالث– الأسباب المتعلقة بالجماعة الإسلامية.

المبحث الثاني– الأسباب الخارجية:

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول– الاستعمار العسكري.

المطلب الثاني– الأنظمة الحاكمة.

المطلب الثالث– الغزو الفكري.

الفصل الثاني– ظاهرة التساقط في العمل الإسلامي أشكالها وأصنافها:

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول– أشكال ظاهرة التساقط:

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول–التساقط على مستوى الأفراد.

المطلب الثاني– التساقط على مستوى الجماعات.

المبحث الثاني– أصناف التساقط:

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول– التساقط العقائدي.

المطلب الثاني– التساقط الفكري.

المطلب الثالث– التساقط السلوكي.

المبحث الثالث– نماذج للتساقط عبر التاريخ الإسلامي:

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول– نماذج لظاهرة التساقط من أتباع الرسل عليهم السلام.

المطلب الثاني– نماذج من عصر النبوة .

المطلب الثالث– التساقط في الواقع المعاصر.

الفصل الثالث– آثار ظاهرة التساقط وعلاجها في ضوء العقيدة:

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول– آثار ظاهرة التساقط:

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول– آثارها على العقيدة.

المطلب الثاني– آثارها على العمل الإسلامي.

المبحث الثاني– دور العقيدة في معالجة ظاهرة التساقط:

ويتكون من خمسة مطالب:

المطلب الأول– التمسك بالكتاب والسنة.

المطلب الثاني– التربية العقائدية.

المطلب الثالث– لزوم العمل الإسلامي.

المطلب الرابع– تصحيح المفاهيم والتصورات في ضوء العقيدة الإسلامية.

المطلب الخامس–الاعتدال والوسطية.

الخاتمة: وفيها النتائج التي خلصت إليها الباحثة خلال هذه الدراسة، وأهم التوصيات

التي تخدم غرض الدراسة.

الفهارس العامة:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس الموضوعات.

التمهيد

مفهوم العمل الإسلامي والتساقط

أولاً– مفهوم العمل الإسلامي.

ثانياً– مفهوم التساقط في العمل الإسلامي.

أولاً– مفهوم العمل الإسلامي والمقصود منه في الدراسة:

لقد أرسل الله تعالى الإنسان وجعله خليفته في الأرض لعبادته، قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}**(الذاريات: 56)، وأمره بعمارة الأرض، والقيام بما أمر الله تعالى به من تعاليم وسنن، ومن أهم الواجبات – كي تتحقق الخلافة والعمارة– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: **{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَاسِقُونَ}**(آل عمران:110).

أخرج الإمام الطبري في تفسيره عن قتادة، قال: **ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال ذات يوم، وهو مسند ظهره إلى الكعبة: (نَحْنُ نُكَمِّلُ يَوْمَ القِيامَةِ سَبْعينَ أُمَّةً نَحْنُ آخرُها وخَيْرُها)**[1]، وقد روى الترمذي الحديث في سننه قال: عن معاوية بن حيدة القشيري[2] رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قَالَ: (إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ)**[3].

وأما قوله: **{تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ}** فإنه يعني: تأمرون بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بشرائعه، **{وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ}** يعني: وتنهون عن الشرك بالله، وتكذيب رسوله، وعن العمل بما نهى عنه [4].

وحتى نصل إلى الخيرية المذكورة لابد أن تتحقق فينا هذه الشروط، فلا نكتفي بكوننا مؤمنين في ذواتنا، نعمل بما شرع الله ونترك ما نهى عنه، بل يجب أن يكون لنا الدور الفعال في مجتمعنا

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، حققه وخرج أحاديثه محمد شاكر، راجع أحاديثه أحمد شاكر، 105/7، ط1،مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1420هـ–2000م.

[2] هو معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن صعصعة القشيري، من أهل البصرة، غزا خراسان ومات بها، وهو جد بهز بن حكيم(انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق علي معوض، عادل عبد الموجود، 200/5، دون رقم طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، 112/6، دون رقم طبعة، دون تاريخ)

[3] أخرجه الترمذي في سننه، الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق د. بشار عواد معروف، كتاب تفسير القرآن، باب4، رقم(3001)، 104/5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م. وقال: هذا حديث حسن،(وقد روى غير واحد هذا الحديث عن بهز بن حكيم نحو هذا ولم يذكروا فيه { كنتم خير أمة أخرجت للناس}).

[4] جامع البيان، 105/7.

الإسلامي بنشر تعاليمه بين أفراد المجتمع كله حتى تتحقق العبودية الكاملة لله عز وجل، وتتحقق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. [1]

ومن هذا المنطلق وهذا التصور كان واجباً على الأمة النهوض بإسلامها فرادى وجماعات، للقيام بدور الدعوة وترسيخ مبادئ الإسلام في كل نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية والاجتماعية، فكانت الحاجة للعمل الإسلامي.

"فمنذ أن سقطت الخلافة العثمانية سنة 1924م ورجالات الأمة الإسلامية وعلماؤها يجاهدون لإعادة الخلافة الإسلامية إلى حياة المسلمين، لا لعلمهم أن إقامة الخلافة ونصب الإمامة في الأمة أمر يوجبه الدين فحسب، ولكن لإدراكهم أيضاً أن حال الأمة لا يمكن أن يستتب ويلتئم بدون قيادة عامة تجمع تلك الأمة، على اختلاف أجناسها وألوانها، وأوطانها."[2]

وهذه الدعوة إلى إقامة الخلافة الإسلامية، وتطبيق أحكامها، إما أن تكون في صورة فردية، كأن يدعو شخص أو عالم من علماء الأمة عن طريق الكتب والمقالات والخطب دون أن يكون لهذه الدعوة سند جماعي أو تنظيم حركي، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه العمل الفردي، وهو واجب على كل مسلم ومسلمة في كل زمان، أو أن تكون الدعوة في صورة عمل جماعي، وهو ما يطلق عليه الحركات الإسلامية، وهذا النوع من العمل الجماعي المنظم هو الآخر واجب بل ضروري لإقامة هذه الخلافة الراشدة قال تعالى: **{وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ }** (المؤمنون:52). [3]

ومفهوم الحركة الإسلامية كما يحدده الدكتور يوسف القرضاوي هو: "ذلك العمل الشعبي الجماعي المنظم للعودة بالإسلام إلى قيامة المجتمع، وتوجيه الحياة، كل الحياة بأوامره ونواهيه، وتشريعاته وتوصياته."[4]

ويمكن لهذا التعريف أن يكون جزءاً هاماً من العمل الإسلامي، والذي يتضمن العمل الفردي

---

[1] انظر: طريق الدعوة، مصطفى مشهور،333-334، بدون رقم طبعة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر،1415هـ-1995م، معالم في الطريق، سيد قطب،5-6، دون رقم الطبعة، دار الشروق، دون تاريخ.

[2] الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين بن محمد بن علي جابر، 257،ط1، دار الوفاء، مصر،1408هـ-1987م.

[3] انظر: السابق،257، طريق الدعوة، 483، معالم في الطريق، 6.

[4] الإخوان المسلمون (70) عاماً في الدعوة والتربية والجهاد، د.يوسف القرضاوي،31، ط1، مكتبة وهبة، مصر،1420هـ-1999م.

والجماعي، فالتساقط يحدث للأفراد، ويحدث للجماعات أو بعض أفراد جماعات العمل المنظم.

وقد كتب الكثير من الباحثين[1] عن العمل الإسلامي، ونشأته وأهميته على الساحة الإسلامية، وكان العمل الإسلامي لديهم بمعنى الجهود الدعوية على جميع الأصعدة، لكن لم نجد منهم من عرف العمل الإسلامي بتعريف علمي.

وبحسب تعريف الدعوة كما يقرره الدكتور يحيى الدجني- والذي يجمع فيه بين جانبي الدعوة النظري والعملي، قال: "هي الجهود المبذولة من الدعاة لتفعيل حركة الإسلام في حياة الناس وفق هدي النبوة." [2]

ومن هنا فيمكن تعريف العمل الإسلامي بأنه: تلك المنظومة المتكاملة التي يعمل خلالها الأفراد والجماعات بهدف إحياء تعاليم الإسلام في حياة الناس وإقامة الخلافة الإسلامية، وفق هدي النبوة.

فنكون بذلك قد وفقنا بين مفهوم الدعوة والعمل الإسلامي، على أساس أن العمل الإسلامي هو دعوة في الأصل لإقامة الخلافة الإسلامية.

ثانياً- مفهوم التساقط في العمل الإسلامي:

لكي نقف على مفهوم التساقط في العمل الإسلامي، لابد لنا من تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي للتساقط .

1- معنى التساقط لغة:

لفظة التساقط من مادة سقط، وهي ذات معانٍ متعددة من أهمها:

أ- **إتيان ما لا يليق:** يقال هذا الفعل مسقطة من عيون الناس، وهو أن يأتي ما لا ينبغي، وإذا لم يلحق الإنسان ملحق الكرام يقال ساقط، وكل من وقع في مهواةٍ، يقال وقع وسقط، وأسقاط

---

[1] انظر: الثوابت والمتغيرات في العمل الإسلامي، د.صلاح الصاوي، 1-3، دون رقم طبعة، دون دار نشر، 1900م، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، عمر عبيد حسنة، 13-14، ط1، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، 1405هـ-1985م، أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، فتحي يكن، 5-6، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م، دروس في العمل الإسلامي، سعيد حوى، 11-13، ط1، دار السلام، حلب، سوريا، 1401هـ-1981م.

[2] الدعوة إلى الله أصولها ووسائلها وأساليبها، د.يحيى علي الدجني، 6، ط2، مكتبة آفاق، غزة، 1428هـ-2007م.

الناس أوباشهم[1]، والسَّقْطُ: من لا يُعد في خِيار الفتيان[2].

ب- **التعثر والخطأ:** والسقطة العثرة والزلة، والساقطة والسقيطة الناقص العقل، ويقال فلان قليل السقاط إذا كان قليل العثار، وأسقط وسقط في كلامه وبكلامه سقوطاً إذا أخطأ[3].

ت- **الوقوع الشديد والإلقاء:** السقطة الوقعة الشديدة، سقط يسقط سقوطاً فهو ساقط وسَقوط، وتساقط على الشيء أي ألقى نفسه عليه، وأسقطه هو[4].

ث- **الخروج:** سقط الولد من بطن أمه خرج ولا يقال وقع[5].

ج- **الانهيار:** يقال تساقط الرجل بمعنى انهياره[6].

ح- **التتابع:** يقال: تسقّطت الخبر وتبقَّطته إذا أخذته شيئاً بعد شيء قليلاً قليلاً، وتساقط الشيء تتابع سقوطه، وتسَقَطَ الشيءُ: تَتَبَع سُقوطُهُ. وساقَطَهُ مُساقَطَةً، وسِقاطاً: أَسْقَطه، وتابَع إسْقاطَه[7].

ويظهر من المعاني اللغوية، ارتباط معنى التساقط بالانتكاس والتعثر والزلل، وأن هذا الأمر قد يحصل للمتساقط عبر التتابع في هذا الانتكاس والاستمرار فيه حتى يصل إلى درجة الانهيار.

وقبل بيان معنى التساقط اصطلاحاً لابد من عرض معنى **الانسلاخ**، لما له من ارتباط مع هذا المفهوم ولتكرر ذكره في الكتاب والسنة دالاً على هذا المعنى.

يقول تعالى: **{ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ**

---

[1] انظر: تهذيب اللغة، أبو منصور محمد الأزهري، تحقيق عبد العظيم محمود، مراجعة محمد علي النجار،8 /390-392، دون رقم طبعة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دون تاريخ، لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، تحقيق عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي،2037/3-2039، دون رقم طبعة، دار المعارف، القاهرة، 1900 م، تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد السلام هارون، 355/19-358-365، ط2، التراث العربي، الكويت، 1415هـ-1994م.

[2] انظر: تاج العروس، 358/19.

[3] انظر: تهذيب اللغة،390/8-391 ، لسان العرب، 2038/3، تاج العروس،355/19-363.

[4] انظر: لسان العرب، 2037/3، تاج العروس، 364/19-365.

[5] انظر: تاج العروس، 355/19.

[6] معجم الغني، د. عبد الغني أبو العزم، يوم الجمعة،5-3-2010 موقع عجيب http://lexicons.sakhr.com/openme.aspx?fileurl=/html/3084571.htm l

[7] انظر: تهذيب اللغة، 391/8، لسان العرب،2037/3، تاج العروس، 356/19-364.

ٱلْغَاوِينَ } (الأعراف:175)، يقول الإمام القرطبي: "(فانسلخ منها) أي من معرفة الله تعالى، أي نزع منه العلم الذي كان يعلمه...والانسلاخ: الخروج؛ يقال: انسلخت الحية من جلدها أي خرجت منه. وقيل: هذا من المقلوب، أي انسلخت الآيات منه."[1]

ويقول الإمام الطبري:" وأما قوله:(فانسلخ منها)، فإنه يعني: خرج من الآيات التي كان الله آتاها إياه، فتبرَّأ منها"[2].

وأقوال المفسرين تشير إلى بعض المعاني اللغوية للفظة الانسلاخ والتي منها:

أ- **النزع:** سَلَخَ. (نَزَعَ)، يقال: سَلَخَت المرأة دِرْعَها، إذَا نَزَعَتْه. وهو مَجاز، وكل شيء يفلق عن قشر، فقد انسلخ.[3]

ب- **الخروج:** سلخ الله النهار من الليل أي استله، فانسلخ أي خرج منه خروجاً لا يبقى معه شيءٌ من ضوئه، وسلخنا الشهر بمعنى خرجنا منه وصرنا في آخر يومه[4].

ت- **الكشط:** السلخ اسم ما سلخ عن الشاة، وسلخ الإهاب أي كشط عنه[5].

ولما كان المتساقط خارجاً عن دعوته تاركاً لها، أو نازعاً لثوب الإسلام عنه، فهو بذلك منتكس ومتعثر في طريقه، وبذلك يتضح الترابط بين معنى التساقط ومعنى الانسلاخ المذكور في الآية القرآنية من سورة الأعراف.

2- المعنى الاصطلاحي للتساقط:

لم تقف الباحثة على تعريف اصطلاحي للتساقط، وفي ضوء المعاني اللغوية السابقة للمصطلح وما تم تحديده لمفهوم العمل الإسلامي سابقاً، فإنه -وبحسب تقدير الباحثة- يمكن تعريف التساقط في العمل الإسلامي بأنه: الانسلاخ الكلي أو الجزئي للفرد أو الجماعة عن الإسلام عقدياً أو فكرياً أو سلوكياً.

فالانسلاخ من الدعوة الإسلامية، هو انتكاس في حد ذاته ومزلّة من صاحبها، وتعثر له في

---

[1] الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، 386/9، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1427هـ-2006م.

[2] جامع البيان، 260/13-261 .

[3] انظر: تاج العروس، 270/7، لسان العرب، 2062/3.

[4] انظر: تاج العروس، 271/7 ، لسان العرب، 2062/3-2063.

[5] انظر: تاج العروس، 270/7-271، لسان العرب، 2062/3.

طريق حياته، وهذا ارتباط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المفهوم.

ويلاحظ من التعريف السابق أن التساقط قد يكون كلياً بترك الدعوة والإسلام دون عودة للحق، وقد يكون جزئياً بأن يحدث هذا التساقط في سلوك المسلم بأن يأتي بما لا يليق، مخالفاً الشريعة الإسلامية، مع إمكانية عودته إلى الطريق القويم، وتجده يترك الدعوة دون ترك الإسلام، وقد تتعرض للتساقط جماعات العمل الإسلامي كما يتعرض له الأفراد المشاركون فيه على حد سواء.

وظاهرة التساقط ظاهرة خطيرة لها آثار سلبية على العقيدة وعلى المجتمع الإسلامي، يقول الداعية فتحي يكن في معرض حديثه عن التساقط في الحركة الإسلامية:" ظاهرة التساقط على طريق الدعوة ظاهرة عامة وخطيرة ومتكررة وهي لذلك تستدعى التأمل والدراسة بعمق وتجرد وموضوعية لمعرفة أسبابها ومسبباتها ولاستكشاف العوامل الحقيقية التي تقف وراءها، والذي يتتبع تاريخ الحركة الإسلامية في كل قطر وعلى امتداد العالم الإسلامي يمر بأسماء كثيرة بلغ بعضها شأواً في مجال العمل والمسؤولية، ثم لم يلبث أن اختفى من حياة الدعوة بشكل أو بآخر".[1]

وهذا غيض من فيض، فالكلام عن أسباب هذه الظاهرة ونتائجها على العقيدة والمجتمع والعمل الإسلامي سنناقشه خلال هذه الدراسة في محله، فالله العلي القدير أسأل أن نوفق في رسالتنا هذه في عرضها، وتوضيح أشكالها، وإبراز نتائجها على الفرد والمجتمع المسلم والدعوة الإسلامية بشكل عام، حتى نستطيع الوصول إلى حلول مناسبة لعلاج هذه الظاهرة، أو الحد منها، والله ولي التوفيق.

---

[1] المتساقطون على طريق الدعوة كيف ولماذا؟، فتحي يكن،5، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1404هـ-1984م.

الفصل الأول

أسباب ظاهرة التساقط في العمل الإسلامي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول– الأسباب الداخلية للتساقط .

المبحث الثاني– الأسباب الخارجية للتساقط .

المبحث الأول

الأسباب الداخلية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول- الأسباب المتعلقة بالفرد.

المطلب الثاني- الأسباب المتعلقة بالمحيط الاجتماعي.

المطلب الثالث- الأسباب المتعلقة بالجماعة الإسلامية.

المبحث الأول

الأسباب الداخلية للتساقط

إن الطريق لإعادة الخلافة الإسلامية وعرة وطويلة، وشاقة على النفس البشرية، بل إنها محفوفة بالمكاره والابتلاءات، لكنها تنتهي بالصابر عليها بجنة عرضها السماوات والأرض، كما في الحديث النبوي عن أنس بن مالك[1] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ)** [2].[3]

بل إن الابتلاء في حياة الإنسان المسلم، وعلى وجه الخصوص الداعية، سنة من السنن الكونية، التي أجراها الله على عباده[4]، يقول تعالى: **{الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ آمَنَّا وَهُمۡ لاَ يُفۡتَنُونَ *وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَاذِبِينَ}** (العنكبوت:1-3).

لذلك كانت العقبات التي تواجه طريق الداعية وتؤدي به إلى التساقط كثيرة، منها ما يتعلق بشخصه، ومنها ما له تعلق بمحيطه الاجتماعي، أو الجماعة التي يرتبط بها الداعية، كل هذا وغيرها من الأسباب الداخلية التي تؤدي بالداعية إلى الانتكاس والسقوط في عمله الدعوي وهو ما سنفصله بعون الله تعالى في المطالب التالية:

المطلب الأول- الأسباب المتعلقة بالفرد:

لابد للعامل في ميدان الدعوة، أن يتحلي بمجموعة من الصفات الذاتية التي تمكّنه من الثبات وتحمل تبعات طريق الدعوة، وإذا اختلت في الداعية هذه الصفات أو بعضها كانت سبباً في

---

[1] هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي، خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، وكان يتسمى به ويفتخر بذلك وهو أحد المكثرين من الرواية عنه، خرج مع النبي إلى بدر وهو غلام يخدمه، توفي سنة إحدى وتسعين وقيل غير ذلك، وكان عمره مائة سنة وقيل غير ذلك.(انظر: أسد الغابة، 294/1-296، الإصابة، 71/1-72).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، الجامع الصحيح، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب صفة الجنة، رقم(7308)، 142/8، دون رقم طبعة، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

[3] انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين، 211-212.

[4] انظر: الابتلاء والمحن في الدعوات، د. محمد عبد القادر أبو فارس، 15-16، ط1، دار الفرقان، عمان، 1407هـ- 1986م.

تساقطه وانحرافه عن ميدان الدعوة، ومن أهم هذه الأسباب:

أولاً- ضعف الوازع الديني:

إن المؤمن الذي يخاف الله عز وجل، ويضع نصب عينيه مراقبته له، قلما يصدر منه الزلل والانحراف؛ لأنه يراعي حدود الله في سره و جهره، في قوله وعمله، فهو يتقي الله في كل ما يصدر منه، فالتقوى وقاية للمؤمن من الزلات، وتبعد عنه المهلكات، إذ يعرف الإمام القرطبي التقوى بأنها: "مراعاة حدود الله تعالى أمراً ونهياً، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به، والتنزه عما نهاك عنه"[1].

وأجدر الناس بهذه التقوى هو الداعي إلى الله، والعامل في الدعوة الإسلامية، لأنه القدوة لجماهير الأمة وأفرادها، والخوف من مراقبة الله يجب أن يكون ملازماً له في دعوته، كي يحرص على تمام الأعمال واستمرارها، أما إذا افتقر الداعية إلى التقوى، فإنه سيقع في حدود الله، ومن ثم يسهل تساقطه ووقوعه في فخ الشيطان، يقول تعالى: **{أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**(التوبة:109).

وقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}**(الأعراف:201)، فهذه الآية تبين أن التقوى صمّام أمان للمسلم من السقوط والتأثر بوساوس الشيطان، فهي تسرع بالمؤمن إلى تصحيح مساره وتقويم اعوجاجه إذا ما اعتراه الضعف البشري، وأثر عليه الشيطان في بعض المواطن.

ثانياً- عدم الإخلاص لله تعالى:

إن غايتنا في طريق الدعوة، هي مرضاة الله عز وجل، بل وفي كل ما نقوم به من أعمال، فالواجب أن تكون كذلك، يقول تعالى: **{ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ }**(الزمر:11-12) فإذا اشتركت في غايتنا هذه غايات أخرى، حبط العمل في الدنيا والآخرة، فعلى الداعية أن يتجرد خلال عمله ودعوته لله عز وجل دون أن يشرك في ذلك أحداً[2]، يقول تعالى: **{فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً}**(الكهف:110).

إن الداعية ينأى بنفسه أن يصيبه الرياء، فيشرك في عمله غير الله تعالى، فمن ابتلي بشيء

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، 417/19.

[2] انظر: طريق الدعوة،155-157.

من هذا، ولم يعالج نفسه، تجده في نهاية الطريق، حائداً عنها ومنحرفاً عن نهجها[1]، مما يوقعه في التساقط، لذا على الداعية أن يراقب نفسه ويتعهدها بالمتابعة والتربية، فإن أصابها طائف من الرياء استغفر وجدد عهده مع الله ليبقى من المخلصين، ولا يحبط عمله.

وفي هذا المعنى يروي أبو هريرة[2] ﵁ عن النبي ﷺ: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: **(أنا أغْنى الشُّركاء عن الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشرك فيه مَعي غيري تركتهُ وشِرْكَهُ)**[3].

يقول ابن القيم: "وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام، كما قال تعالى: **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**(آل عمران:85) وهي ملة إبراهيم ﵇ التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء".[4]

ثالثاً- عدم وضوح الرؤية:

إن الهدف الرئيس للعمل الإسلامي هو التمكين لدين الله في الأرض، وتطبيق أحكامه من خلال إرجاع الخلافة الإسلامية الغراء، فلو حاد الداعي عن هذا الهدف أو اجتزأ منه أهدافاً فرعية،

---

[1] انظر: سلسلة مدرسة الدعاة، عبد الله ناصح علوان، 495/2-496، ط2، دار السلام، 1424هـ- 2004م، المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، 115-117، دون رقم طبعة، دار الفكر، لبنان، دون تاريخ.

[2] أبو هريرة الدوسي من دوس بن عدثان بن عبد الله بن نصر بن الأزد، اختلف في اسمه كثيراً ولكن كل ما في هذه الأسماء من التعبيد غيرها الإسلام، فصار اسمه عبد الرحمن وقيل عبد الله بن صخر الدوسي، كني بأب هريرة لهرة حملها في كمه، أسلم عام خيبر ولازم النبي ﷺ للعلم، وكان أكثر الصحابة حديثاً عنه، وهو أحفظ من روى الحديث في عصره، توفي سنة سبع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين وقيل غير ذلك.(انظر: أسد الغابة: 313/6-316، الإصابة: 202/7-204).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم(7666)، 223/8.

[4] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، 145-146، دون رقم طبعة، مكتبة الإيمان، القاهرة، دون تاريخ.

وبنى عليها دعوته، خشي عليه من الزلل والانحراف عن الغاية السامية لهذه الدعوة.[1]

ونعني بالاجتزاء هنا، أن يعمل الداعي مثلاً على العبادة والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويهمل أمر التشريع والحكم، أو أن يهتم بالأمور الفكرية دون اكتراث بالجوانب الروحية الربانية، فحتى نقيم دولتنا الإسلامية على الأسس السليمة لابد لنا من الاهتمام بهذه الجوانب كافة، الفكرية والروحانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فالإسلام كل متكامل.[2]

لذا لابد أن يكون هذا واضحاً للعامل في الحقل الإسلامي، فإن وضوح الأهداف والسير حسب أبعادها المرسومة، وقاية له من الزلل والتساقط، لكننا نجد بعض شباب الدعوة الإسلامية من يبدأ طريقه في الدعوة غير مكترث لهذه الأهداف، بل قد تكون أهدافه شخصية دنيوية، أو حتى أخروية لكن دون سير على منهجية سليمة، وهذا يعرضهم للانتكاس في خضم عملهم الدعوي، خاصة حينما يرون جهودهم تذهب أدراج الرياح، فلا تصيب هدفاً، ولا تحقق لهم غاية.

كما ينبغي للداعية أن يعي جيداً حجم التبعات والمسؤوليات المترتبة على دعوته، الأمر الذي يمثل دافعاً قوياً للسالكين لكي يواجهوا المخاطر الواقعة والتحديات المتوقعة، بخلاف غيرهم وهو ما يظهر جلياً فيمن التحق بالعمل الإسلامي دون أن يعلم ما ينتظره من أعباء ومسؤوليات، فيقف أمامها عاجزاً، ويحاول التخلص منها بشتى الوسائل والمبررات[3]، فقد يجد الفرد منهم نفسه أمام عقبات صعبة لا تطيقها نفسه، كالسجن أو الملاحقة من الأعداء، أو الحكومات الجائرة، فلا تطيق نفسه الصمود أمام هذه التبعات فيتساقط أمامها.

رابعاً– عدم ثقة الداعية وإيمانه بما يدعو إليه:

إن من صفات الداعية الثابت على الطريق، الإيمان بما يدعو إليه وبحرارة، مع الثقة الكاملة أن ما يدعو إليه هو الموصل له إلى بر النجاة، وإلا تعرض إلى التيه والضياع، لذلك لابد للسائر في طريق الدعوة والعمل الإسلامي، أن يتأكد من الطريق السائر فيها ومن سلامتها حتى تكون ثقته في محلها، وحتى يحافظ على مسيرته دون تردي أو انحراف.[4]

ولنا في رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الأسوة الحسنة فقد كان ثباته مثالاً احتذى به صحابته من بعده، فما كان يثني إيمانه بدعوته كيد الكائدين، ولا تكذيب الحاقدين، فعن عَقِيلُ بْنُ

---

[1] انظر: طريق الدعوة، 161.

[2] انظر: السابق، 163–165، وراجع: الإخوان المسلمون 70 عاما في الدعوة..،84–90.

[3] انظر: المتساقطون،81.

[4] انظر: طريق الدعوة، 87 ، الدعوة إلى الله، 112–113.

أَبِي طَالِبٍ[1] رضي الله عنه، قَالَ: (**جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي دِينِنَا وَفِي مَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنْ أَذَانَا، فَقَالَ: يَا عُقَيْلُ، ائْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، فَذَهَبْتُ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ بَنِي عَمِّكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَسْجِدِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: "أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِأَقْدَرِ عَلَى أَنْ أَدَعَ لَكُمْ ذَلِكَ أَنْ تَشتعِلُوا لِي مِنْهَا بِشُعْلَةٍ"، قَالَ: فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَبَنَا ابْنُ أَخِي فَارْجِعُوا**)[2].

أما إذا اهتزت ثقة الداعية بدعوته، وضعف إيمانه بفكرته فإنه سرعان ما يتخلى عنها عند أيٍّ من مراحل الضعف التي قد تعتريه.

خامساً- الجهل:

إن من أبرز الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية في ميدان الدعوة صفة العلم، فمهمة الداعية تجاه نفسه تكاد تكون أعظم من مهمته تجاه المجتمع، فلابد له من البدء بنفسه في التعلم وتحصيل العلم الشرعي اللازم، وفهم الإسلام فهماً صحيحاً، بالرجوع إلى منابعه الأصيلة من الكتاب والسنة والسيرة وغيرها من العلوم والمعارف الإسلامية، لتصبح لديه القدرة على التأصيل الشرعي للمسائل التي يتعرض إليها، والقدرة على فهم الواقع فهماً صحيحاً.[3]

ولكن عندما يحصل العكس فإن هذا الإنسان سيقع في مزالق الجهل التي تؤدي به إلى التساقط، علماً بأن هذا الجهل يتخذ صوراً متعددة، منها:

1- قلة الزاد من العلوم الشرعية:

وصورته البدء بالدعوة دون كفاية في التحصيل العلمي فيضطرب الداعية في دعوته، ولا

---

[1] هو عقيل بن أبي طالب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، تأخر إسلامه إلى عام الفتح وقيل عام الحديبية، كان أسر يوم بدر ففداه عمه العباس، وشهد مؤتة، مات في خلافة معاوية وقيل في أول خلافة يزيد قبل الحرة.(انظر: أسد الغابة، 61/4، الإصابة، 255/4).

[2] إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف ياسر بن إبراهيم، كتاب علامات النبوة، باب مشي قريش في أمره صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب، حديث رقم(6333)، قال هذا إسناد رواته ثقات، 28/7، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، 1420هـ-1999م.

[1] انظر: نحو وعي حركي إسلامي، مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، 20، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1394هـ-1974م.

يستطيع إفادة المدعوين من حوله، فلابد للداعية المسلم أن يكون كالأرض النقية التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب، حتى يفيد ويستفيد، فلا يتوقع من جاهل تعليم الناس ودعوتهم بأي حال من الأحوال، يقول تعالى: **{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ}** (الزمر:9)، وفي الحديث النبوي عن أَبِي مُوسى الأشعري[1] رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: **(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)** [2].

يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث: " قال القرطبي وغيره ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به...ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها"[3].

وهذه الطائفة المذمومة هي الطائفة الثالثة في الحديث، وهي التي يقل زادها من العلوم الشرعية مع كونها تسمع العلم ولكنها لا تحفظه ولا تؤديه، ولا تحرص عليه فيسهل وقوع هذه الطائفة في الأخطاء الشرعية، لجهلها بها، فيسهل تساقطها وتركها للمجال الدعوي.

---

[1] هو عبد الله بن قيس بن سليم بن الجماهر بن الأشعر، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم قديماً بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه، قدم المدينة بعد فتح خيبر، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض اليمن وعدن، كان أحد الحكمين في صفين ثم اعتزل، توفي سنة اثنتين وأربعين وقيل غير ذلك.(انظر: أسد الغابة، 364/3، الإصابة، 119/4-120).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، حديث رقم(79)، 27/1، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.

[3] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، رقم(79)،176/1، دون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

2- الجهل بفقه الدعوة وفقه الواقع:

وفقه الدعوة أن يعرف الداعية طرق الدعوة وأساليبها ومناهجها، ويدعو إلى الله على بصيرة، فيعرف من يدعو؟ وإلى أي شيء يدعو؟ وكيف يدعو؟، يقول تعالى: **{ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُو إِلَىٰ ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ }**(يوسف:108)[1] ، وفقه الواقع أن يعرف طبيعة المجتمع الذي يعيشه وإمكاناته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وإن قراءة الواقع قراءة غير صحيحة تؤدي بالداعية والفرد في العمل الإسلامي إلى سلوك الطريق الخطأ في دعوته وتعرضه للزلل بسهوله، فقد يعتري هذا الإنسان اليأس من عدم نجاح دعوته، أو عدم تقبل الناس لها، فينحرف ويتساقط، أو يتطرف ويتعصب على غير حق[2]. يقول د.صادق أمين، في معرض الحديث عن وصيته لكل داعية: " كذلك الوعي والفقه الصحيح والتمييز حين يكون الداعية على بينة، وبدون مثل هذه الشروط الصعبة تغدو الجماعة الإسلامية مأوى للضعفاء وتفقد صلابتها، ويحرمها الله نصره"[3].

3- الجهل بفقه الأولويات:

يعرف الدكتور يوسف القرضاوي فقه الأولويات بأنه: "وضع كل شيء في مرتبته بالعدل، من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدِّم الأَولى فالأَولى، بناءً على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها نور الوحي، ونور العقل،...، فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل، أو الأفضل، بل يقدم ما حقه التقديم، ويُؤخِّر ما حقه التأخير، ولا يُكبِّر الصغير، ولا يُهوِّن الخطير، بل يوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم، بلا طغيان ولا إخسار، كما قال تعالى: **{ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ }**(الرحمن: 7 - 9)"[4].

ثم يشير القرضاوي إلى أن الاضطراب في هذا الفقه لا يحدث من جماهير المسلمين أو المنحرفين منهم فقط، وإنما يحدث للمتدينين أيضا لفقدان العلم الصحيح والعقل الراجح الذي يميز

---

[1] انظر: فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء الكتاب والسنة، د. يوسف القرضاوي، 80، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر،1421هـ-2000م .

[2] انظر: الدعوة إلى الله، 118-119.

[3] الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، د. صادق أمين، 53، دون رقم طبعة، دون دار نشر، 1978م.

[4] فقه الأولويات،9.

بين الأحوال[1]، وهذا يعني أن الداعي إن لم يتحلّ بهذا الفهم الصحيح والذي يميز به بين الفاضل والمفضول واختلافهما باختلاف الزمان والمكان، سيضيع مع قلة فهمه الدين، ثم يسهل عليه السقوط مع هذا التضييع.

وهذا الفقه أشار إليه النبي ﷺ في سنته الشريفة، فها هو يعلم معاذاً[2] رضي الله عنه كيف يتعامل مع أهل الكتاب في اليمن ويدعوهم إلى الإسلام فالأولوية الأولى هي إقرارهم بالتوحيد، ثم تتابع الأمور حسب أولويتها في الدعوة، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ[3] رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: **(إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)**[4].

---

[1] انظر: فقه الأولويات،14-15.

[2] هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن جشم الأنصاري الخزرجي، وهو أحد السبعة الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدراً وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، كان خير شباب قومه، وأعلم الناس بالحلال والحرام، توفي في طاعون عمواس سنة ثماني عشر وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة وقيل غير ذلك.(انظر: أسد الغابة، 187/5، الإصابة، 106/6-107).

[3] هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، دعا له النبي ﷺ أن يفقه في الدين ويعلم التأويل، وكان يسمى حبر الأمة، توفي سنة ثمان وستين بالطائف وهو ابن سبعين سنة.(انظر: أسد الغابة، 291/3-293، الإصابة، 90/4).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب بعث أبي موسى ومعاذٍ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم(4347)، 162/5.

سادساً- أمراض القلوب:

لقد بين الإسلام أهمية القلب بوصفه السبب الرئيس في صلاح الفرد أو فساده، فعن النعمان بن بشير[1] رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)**[2]، فالنبي صلى الله عليه وسلم يشير في هذا الحديث إلى أمر خطير وهو القلب، وإلى أنه يصيبه الصلاح والفساد، وأنهما يؤثران في الجسد كله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره لمرض القلب: "مرض القلب هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره وإرادته، فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار"[3].

ومرض القلب يحصل للداعية لكونه بشراً كغيره، فإن لم يحذر على سلامة قلبه من حين إلى آخر، وتعهده بالحفاظ عليه من أدرانه، انحدر به مرض القلب إلى الهاوية والعياذ بالله، فمرض القلب يضعف صاحبه فلا يتحمل الابتلاءات مثلما يتحملها القلب القوي، وإلى ذلك يشير ابن تيمية فيقول: "والمرض في الجملة يضعف المريض بجعل قوته ضعيفة لا تطيق ما يطيقه القوي"[4].

وأمراض القلوب التي تعرض للداعية، وتعرض مسيرته إلى الخطر متعددة منها:

1- الحسد: وهو خلق مذموم وهو" تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد"[5]، وهو من نتاج الحقد وهو إضمار العداوة في القلب إلى حين سماح الفرصة للانتقام، وقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضع عن التحاسد والتباغض، والبغض من نتاج الحسد فكان مرتبطاً به في النهي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا**

---

[1] هو النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد بن خلاس بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي، هو أول مولود للأنصار بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، له ولأبويه صحبة، كان جواداً شجاعاً شاعراً، قتله أهل حمص سنة أربع وستين للهجرة.(انظر :أسد الغابة، 310/5، الإصابة، 240/6)

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم(4178)، 50/5.

[3] أمراض القلوب وشفاؤها، تقي الدين أحمد بن تيمية، شرحه وقدم له د. محمود مطرجي، 14، ط1، دار القلم، لبنان، 1406هـ-1986م.

[4] السابق،15.

[5] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، 117، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ.

يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)[1]، وقد ذم القرآن الكريم هذا الخلق وأمر المسلمين بالتعوذ منه، قال تعالى: **{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ... وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}**(الفلق:1-5).[2]

فقد يحسد الإنسان أخاه المسلم على نشاطه في الدعوة، أو محبة الناس له، أو أن يتعرض لخصومة مع أحد زملائه في الدعوة، فيوغر في قلبه وصدره الحقد والحسد عليه، وكل هذا يبرأ منه الداعية المخلص لله تعالى والذي يضع مراقبة الله له نصب عينيه، والذي يراجع نفسه من حين لآخر فيطهرها مما فيها من شوائب.

2- الكِبْر: وهو خلق باطني تصدر عنه أعمال ظاهرة هي ثمرته، مثل إظهار الترفع على الناس، أو التباهي بالعلم والمعرفة، محبة التعظيم والتبجيل، وغير ذلك من مظاهر الزهو بالنفس والافتخار بها، وهو خلق مذموم حذر منه النبي ﷺ في الحديث النبوي فعنَ عبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ[3] رضي الله عنه أنِ النَّبِي ﷺ قال: **(لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)**[4]، والدعاة عرضةٌ لهذه الآفة، لما عندهم من مزايا العلم والثقافة، والخطابة وحسن الكلام أكثر من غيرهم من عامة الناس، فيكون سبباً لانحدارهم وتساقطهم في شرك الشيطان وغيه، فليحذر منه الدعاة والمرشدون حذر غيرهم من الناس منه بل أكثر.[5]

3- الغرور: "وهو أن يلبس الإنسان على نفسه الحقائق، ويريها الأمور على خلاف ما هي عليه، ويعطيها من المقام الأرفع، والمنزلة العليا بما لا تستحقه، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً"[6]. وداء الغرور من الآفات التي تفتك بالداعية وتحبط عمله، وتمحو ثوابه، وتسقطه من على طريق الدعوة، لذلك يجب على العامل في الحقل الإسلامي، والداعي إلى الله أن يطهر قلبه من هذا

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث(6706)، 10/8.

(2) انظر: سلسلة مدرسة الدعاة، 535/2-536، أمراض القلوب،31.

(3) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن مخزوم بن تميم الهذلي ، كان إسلامه بمكة قديماً، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ، هاجر الهجرتين جميعاً وصلى القبلتين، وشهد بدراً والخندق وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، وكان عمره بضعاً وستين سنة.(انظر: أسد الغابة، 381/3).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم(275)، 65/1.

(5) انظر: سلسلة مدرسة الدعاة،525/2-528.

(6) السابق، 520/2.

الداء، فيجب عليه أن يكون أكثر الناس تواضعاً، وأن لا يعطي نفسها أكبر من حقها ولا يغتر بنفسه، فالله وحده تعالى هو صاحب الفضل والمن بالهداية والصلاح[1]، يقول تعالى: **{يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ}**(فاطر:5).

وأمراض أخرى يطول بنا المقام بذكرها، كالعجب، والأثرة والأنانية، وحب الجاه وحب المال[2]، كلها تودي بصاحبها إن لم يتخلص منها إلى هاوية التساقط والخروج عن درب الدعوة والإصلاح.

سابعاً- حب الدنيا واتباع الهوى:

يتعرض الداعية لمحن عظيمة وفتن كبيرة وأعظم هذه الفتن فتنة الدنيا؛ لأنها البوابة لكل الفتن الباقية، وقد كان النبي ﷺ يخاف على أمته الدنيا وزهرتها أكثر مما يخاف عليهم الفقر، فعن عمرو بنَ عوْفٍ[3] رضي الله عنه **أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعثَ أبا عُبَيْدةَ بنَ الجرَّاح إلى البَحْرَيْن يأتي بجِزيتِها، وكان النبيُّ ﷺ صالَحَ أهلَ البحرين، وأمَّر عليهم العلاءَ بنَ الْحَضْرَمِيِّ[4] رضي الله عنه، فقَدِم أبو عبيدة بمالٍ من البحْرين، فسمعتِ الأنصارُ بقُدوم أبي عُبيدةَ، فَوافَوْا صلاةَ الفجر مع رسولِ الله ﷺ، فلمَّا صلىَّ رسولُ الله ﷺ انصرفَ، فَتَعَرَّضوا له، فَتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ حين رآهم، ثم قال : (أُظُنُّكُمْ سمعتُم أنَّ أبا عُبَيْدةَ قَدِم بشيءٍ من البحرين ؟) فقالوا: أَجلْ يا رسولَ الله، فقال: (أَبْشِرُوا وأمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فوالله مَا الْفقْرَ أَخْشى عليكم، ولكني أخشى أنْ تُبْسَط الدُّنيا عليكم كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم، فَتَنَافَسُوها كما تَنافسوها وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ)"[5].**

فهؤلاء الأنصار، ومن توجه إليهم النبي صلوات الله وسلامه عليه بالحديث وتحذيرهم من

---

[1] انظر: المتساقطون، 94 -97.

[2] انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن ملوح، 3771/9-3779، ط1، دار الوسيلة للنشر، جدة، السعودية، 1418هـ-1998م، المرشد الأمين، الغزالي، 112-114، آفات على الطريق د.السيد محمد نوح، 128/1-132، 4/ 102-104، ط8، دار الوفاء للنشر، المنصورة، مصر، 1413هـ-1992م.

[3] هو عمرو بن عوف الأنصاري، حليف بني عامر بن لؤي، شهد بدراً مع رسول الله ﷺ، سكن المدينة ولا عقب له، مات في خلافة عمر فصلى عليه.(انظر: أسد الغابة، 246/4، الإصابة، 9/5).

[4] هو العلاء بن عبد الله بن عباد بن مالك بن الخزرج، من حضرموت، حليف حرب بن أمية، يقال أنه مجاب الدعوة، ولاه النبي ﷺ البحرين، وتوفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة وقيل غير ذلك.(انظر: أسد الغابة، 71/4، الإصابة، 259/4)

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب حدثنا قتيبة بن سعيد، حديث رقم(7614)، 212/8.

الدنيا هم الصحابة الكرام، فكيف بنا اليوم وهي تفتح ذراعيها لنا بكل ما فيها من متع زائلة، فإن لم يكن الداعية على قدر عال من الاستعداد الوقائي ضد هذه المتع فإنه-لا محالة- سيقع في ملذاتها، ويحيد عن الطريق القويم[1]، يقول تعالى: **{ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلأَمْوَٰلِ وَٱلأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰماً وَفِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ}** (الحديد:20).

يقول الطاهر بن عاشور في هذه الآية: "أعقب التحريض على الصدقات والإنفاقِ بالإشارة إلى دحض سبب الشح أنه الحرص على استبقاء المال لإِنْفَاقَه في لذائذ الحياة الدنيا، فضُرب لهم مثلُ الحياة الدنيا بحالٍ محقَّرة على أنها زائلة تحقيراً لحاصلها وتزهيداً فيها، لأن التعلق بها يعوق عن الفلاح... وأشير إلى أنها ينبغي أن تتخذ الحياة وسيلة للنعيم الدائم في الآخرة، ووقاية من العذاب الشديد، وما عدا ذلك من أحوال الحياة فهو متاع قليل، ولذلك أعقب مثل الحياة الدنيا بالإخبار عن الآخرة بقوله: **{في الآخرة عذاب}**".[2]

فنجد من الدعاة اليوم من كان غارقاً في ميدان الدعوة ومجتهداً فيها، حتى إذا فتحت له الدنيا أبوابها، انكب عليها وعلى ملذاتها، واتبع هواه وأخلد إلى الأرض، ونسي أمر الدعوة ولم يعد يهتم إلا بجمع المال وتحصيله[3].

ومن مظاهر حب الدنيا[4] والتعلق بها: الخوف على الرزق، كراهية الموت، حب المال والجاه، البذخ والإسراف.

يقول مصطفى مشهور: "لهذا يجب على رجل الدعوة الصادق مع الله والذي باع نفسه وماله لله أن يكون في يقظة تامة، وأن يقتحم هذه العقبة ويتخطاها دون أن يقع فيها، ومن حقه على إخوانه أن يأخذوا بيده ويشدوا من أزره، فالدعوة في حاجة إلى كل جهد وطاقة، والحقل خصب والحمد لله، **{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ}** (الأعراف:58)"[5].

ثامناً- التطرف والغلو:

إن منهج الإسلام منهج وسطي، وهو منهج مميز للشريعة الإسلامية، يقول تعالى: **{ وَكَذَلِكَ**

---

[1] انظر: مشكلات الدعوة والداعية، 18.

[2] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،27/400-401، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

[3] انظر: سلسلة مدرسة الدعاة، 2/549-550.

[4] انظر: آفات على الطريق، 2/41-42.

[5] طريق الدعوة، 57.

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } (البقرة:143)، وقد دعت النصوص الشرعية كلها إلى الاعتدال، وحذرت من التطرف والغلو.[1]

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إياكمْ والغُلُوَّ في الدِّينِ فإنّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكمْ بالغُلُوّ في الدِّينِ).[2]**

فقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن الغلو في الدين مهلكة، "فالذين يحملون أنفسهم فوق ما تطيق ولا يقبلون التوسط في شيء، ويصرون على الغلو في كل شيء، هؤلاء معرضون بشكل أو بآخر لانتكاسات نفسية وإيمانية"[3].

ويوضح النبي صلى الله عليه في غير موضع هلاك هذه الطائفة من الناس، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ، قالها ثلاثاً)[4]**.

يقول النووي: "المتنطعون أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"[5]، ويقول د. القرضاوي: "المتنطعون: المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد"[6]، ومما هو جدير بالذكر أن الناس مختلفون في قدراتهم على التحمل، فمنهم من يحمل نفسه على العزائم دون التدرج في ذلك، فتراه في وسط الطريق قد انهزمت إيمانياته من كثرة التشديد ثم ما يلبث أن يتساقط، وهذا ما يحصل مع الدعاة الجدد أو غيرهم ممن له باع طويل في الدعوة، تجده يشدد على نفسه وعلى غيره، فينفر الناس منه ومن دعوته، وينتكس على عقبيه من كثرة ما حمل نفسه، فهذا فيه الضرر البالغ على الدعوة والداعية على حد سواء.

---

[1] انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، 28، ط3، دار الوفاء، القاهرة، مصر،1415هـ-1994م.

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه، سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، حديث رقم(3029)، 1008/2، دون رقم طبعة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، دون تاريخ طبعة، قال الألباني: صحيح على شرط مسلم، (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، 278/3، دون رقم طبعة، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، 1415هـ-1995م).

[3] المتساقطون، 88.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، حديث رقم(6955)، 58/8.

[5] صحيح مسلم بشرح النووي، محي الدين بن شرف النووي، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم(2670)، 220/16، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1392هـ.

[6] فقه الأولويات، 75.

وقد يصل التطرف بالبعض من الدعاة إلى تكفير من حولهم من الناس؛ لأنهم لم يتبعوا منهجه، وهذا ما أدى بكثير من الأفراد إلى الانسلاخ عن الطريق القويم وتكوين جماعات تكفيرية حائدة عن الطريق الصحيح في الدعوة [1].

تاسعاً- التفريط في الأحكام الشرعية:

إن انحراف بعض الدعاة عن منهج الوسطية بحيث تجدهم يفرطون في كثير من العبادات، ويتمادون في تضييع الأحكام الشرعية أو بعضها، ومن ذلك ما يكون في حياة الداعية الاجتماعية من تساهل في الزيارات المختلطة والمصافحة مع النساء والرجال، أو تساهل في الحياة الوظيفية من قبول للرشوة أو التعامل بالربا بدعوى الضرورة، أو التفريط في الفرائض الدينية كترك الصلاة أو عدم إحقاق الزكاة، وغير ذلك من الصور، الأمر الذي يفقدهم خلق القدوة الحسنة من جهة، واحترام النفس والآخرين من جهة أخرى[2]، قال تعالى: **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** (البقرة:44).

إن الله تعالى في هذه الآية ينكر على أهل الكتاب، وهم أصحاب العلم، أن لا يعملوا بما يأمرون الناس به، وهذا عام فيمن سار على نهجهم، ولكن تكمن المشكلة في أن يصبح التفريط ديدناً للداعية بحيث يراه أمراً عادياً بحقه، ولا يبالي بصدور صغائر الذنوب منه، ولا يكترث بتوجيهات النبي ﷺ، وتعاليم الإسلام.

فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ[3] رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ)**[4].

---

[1] انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، 57

[2] انظر: المتساقطون، 93، أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام، د.محمد أمان الجامي، راجع الكتاب عبد الرحمن الفريوائي، 217-218، دون رقم طبعة، شركة العبيكان للنشر والطباعة، السعودية، 1404هـ- 1984م.

[3] هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن الخزرج الأنصاري الساعدي، كان اسمه حزناً فسماه النبي ﷺ سهلاً، شهد قضاء النبي ﷺ في المتلاعنين وأنه فرق بينهما، طال عمره وتوفي سنة ثمان وثمانين، وهو ابن ست وتسعين وقيل غير ذلك.(انظر: أسد الغابة: 575/2).

[4] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومجموعة، مسند سهل بن سعد الساعدي، حديث رقم(22808)، 467/37، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1421هـ-2001م، قال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين.(انظر: السلسلة الصحيحة، 276/7).

لذلك يجدر بالداعية أن يحذر من ارتكاب هذه الصغائر ومن تكرارها، وأن يحمل نفسه على العزائم من غير تطرف أو غلو، وله أن يأخذ بالرخص من غير تفريط.

المطلب الثاني- الأسباب المتعلقة بالمحيط الاجتماعي:

إن المحيط الاجتماعي للداعية ممثلاً بالأقارب والجيران والأصحاب، يؤثر عليه تأثيراً كبيراً، إذ له القدرة الكبيرة على تغيير حياته الدعوية نحو الأفضل، أو الانتكاس بها إلى الأسوأ، وهو ما يمكن توضيحه في النقطتين الآتيتين:

أولاً- المحيط العائلي:

ويراد به الأقارب وهي دائرة واسعة تبدأ بالأم والأب والزوجة والأولاد، وتتشعب إلى بقية الأقارب من جهة الأم والأب، فالداعية في بداية حياته الدعوية وفي ريعان الشباب، يخوض غمار الدعوة بكل حماس واندفاع، لكنه قد يجد أول العقبات العائلية متمثلة في خوف الأب والأم عليه من تبعات العمل الدعوي، أو رفض العمل الدعوي برمته، وعده تزمتاً وتشدداً في الدين-بوصفهم-، فتجد هذا الشاب المندفع مع إلحاح الأب والأم قد حبطت عزيمته وخارت حماسته، وتوقف عن العمل الدعوي أو انقلب حاله بالكلية تحت تأثير ضغط الأبوين[1]، وقد أشار النبي ﷺ إلى تأثير الأبوين على الأبناء، بحيث يبلغ حد توجيهه دينياً وسلوكياً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)**[2]، فالأبوين لهما بالغ الأثر في تغيير حياة الأبناء سلباً أو إيجاباً[3]، فإذا كان الإبن على طريق الخير والرشاد وكان الأبوان على غير هذه الطريق، فلا تستبعد محاربتهما له للنيل من عزيمته وإيمانه.

ومن ذلك قصة الصحابي الجليل مصعب بن عمير[4] رضي الله عنه، والذي كان من أكثر شباب

---

[1] انظر: سلسلة مدرسة الدعاة، 611/2.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، حديث رقم(1385)، 95/2.

[3] انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس، د.أنس احمد كرزون، 679/2، ط2، دار ابن حزم، 1418هـ-1997م.

[4] هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري، أحد السابقين إلى الإسلام، أسلم قديماً والنبي ﷺ في دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، علم أهله فأوثقوه فلم يزل محبوساً إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدراً ثم شهد أحداً ومعه اللواء فاستشهد.(انظر: الإصابة، 101/6).

مكة مالاً وترفاً، فلما أظهر إسلامه حاولت أمه ثنيه عن هذه الدعوة الجديدة بكافة الوسائل، حتى وصل بها الأمر إلى التعذيب بالحبس ومنع الطعام[1]، فما كان منه إلا الثبات على دعوته والإصرار على إسلامه، فلنا فيه القدوة الحسنة والمثل الأعلى.

وقد يحصل معه ذلك بعد اختيار شريك الحياة، فإن لم يحسن الاختيار كان وبالاً عليه وعلى دعوته، وهو منعطف كبير في حياة الدعاة، فكم من داعية انتكست حياته الدعوية بعد الزواج[2]، ووقع في فساد كبير، والفيصل هنا هو اختيار الشريك وفق ما أمر به الله ورسوله، عن عبد الله بن عمرو[3] رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)**[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا خَطَبَ إليكم من تَرْضَوْنَ دينه وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إلا تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ)**[5].

قال المباركفوري في شرح هذا الحديث: "أي إن لم تزوجوا من ترضون دينه وخلقه وترغبوا في مجرد الحسب والجمال أو المال، تكن فتنة، وفساد عريض، أي ذو عرض أي كبير؛ وذلك لأنكم إن لم تزوجوها إلا من ذي مال أو جاه ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج وأكثر رجالكم بلا نساء فيكثر الافتتان بالزنا وربما يلحق الأولياء عار فتهيج الفتن والفساد ويترتب عليه قطع النسب وقلة الصلاح والعفة"[6].

فإن كان الاختيار على غير هذا المنهج فإن هذا يؤدي إلى هاوية السقوط، فقد تظل الزوجة تطالبه بالاستقرار والعناية بالأولاد وتطالبه بحقوقها المادية والمعنوية، حتى تثنيه عن طريق

---

[1] انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، 69، دون رقم طبعة، دار ابن خلدون، الاسكندرية، مصر، دون تاريخ، لم أقف على حكم لهذه الرواية.

[2] انظر مشكلات الدعوة والداعية، 49.

[3] هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً وعالماً، قرأ القرآن والكتب المتقدمة، شهد مع أبيه فتح الشام واليرموك وصفين، توفي سنة ثلاث وستين بمصر وقيل غير ذلك.(انظر: أسد الغابة، 345/3)

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، حديث رقم(3716)، 178/4.

[5] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، حديث رقم(1084)، 380/2، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

[6] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، مراجعة وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، أبواب النكاح، باب ما جاء في من ترضون دينه وخلقه، حديث(1090)، 204/4، ط2، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1383هـ-1963م.

دعوته[1]، أو قد يقف الزوج في طريق زوجته ويرفض قيامها بواجب الدعوة و يثنيها في نهاية الأمر عن متابعة الطريق.

أما الأولاد فقد يكون دافع الخوف عليهم وعلى مستقبلهم سبباً لتقاعس الداعية عن دعوته، فيتركها لاهثاً وراء جمع المال لتوفير قوت عياله وتلبية متطلباتهم، وليس معنى هذا أن لا يقوم الداعية بتوفير الحياة الكريمة لأسرته، بل يفعل ولكن دون ترك واجب الدعوة.

هذا بالإضافة إلى ما يترتب على سوء اختيار أحد الزوجين للآخر من فساد المحضن التربوي الأساس للأبناء، وهو ما قد يؤدي إلى انحراف بعض الأبناء، وهو ما قد يمثل فتنةً أو عائقاً يعيق الداعية عن عمله.

ثانياً- الجيران والأصحاب:

وهم الدائرة الثانية المحيطة بالداعية، وقد يكون لهم بالغ الأثر عليه وعلى دعوته، فأحوالهم تجاه الداعية في تباين، فمن الجيران من هو سلبي أو محب للداعية تدفعه محبته للخوف عليه، فتجده يعكف على تخويف الداعية والضغط عليه لترك الدعوة والخلود إلى الأرض، مما يثنيه عن العمل والتضحية من أجل دعوته.

وصنف آخر يجد في شخص الداعية العدو اللدود، فيستهزئ ويسخر من دعوته، قال تعالى: **{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}**(الأنعام:10)، وهذا ديدن المستخفين بالدعوات الاستهزاء والغمز واللمز بالدعوة الصادقة وصاحبها، ومن الدعاة من لا يطيق هذا الأذى والابتلاء، ولا يكون إيمانه بتلك القوة التي تمكنه من الصبر على هذا الأذى، فيسقط في طريق دعوته[2].

وهناك صنف من الجيران والأصحاب يتصيد للداعية الزلات والهفوات، فيكون عليه كالجلاد، ويبدأ بشن الهجوم عليه واتهامه لأقل الغلطات، وهذا يؤثر على الداعية سلباً إن لم يحصن نفسه ضد هذه الهجمات الشرسة[3].

إن الداعية إذا لم يحسن اختيار جلسائه فإن ذلك قد يكون سبباً في انحرافه عن الطريق، أو

---

[1] انظر: نظرات في واقع الدعوة والدعاة، مصطفى الطحان، 70، ط1، دار الوثائق، الكويت، 1406هـ-1986م.

[2] انظر: الابتلاء والمحن، 47. سلسلة مدرسة الدعاة،617/1.

[3] انظر: سلسلة مدرسة الدعاة، 1/ 617-618. نظرات في واقع الدعوة، 70.

تقاعسه عن الدعوة، يقول الإمام ابن الجوزي: "ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإن الطبع يسرق، فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله"[(1)][(2)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)**[(3)].

المطلب الثالث– الأسباب المتعلقة بالجماعة الإسلامية:

إن الجماعة الإسلامية حامية للفرد من التساقط، لكن في بعض الأحيان تصدر من الجماعة أخطاء تؤدي بالفرد المنتمي إليها إلى التساقط، سنتحدث عنها في النقاط التالية:

أولاً– ضعف الجانب التربوي:

إن من واجب الجماعة الإسلامية، أن تهتم بالتربية والتكوين لأفرادها، وأن تهتم بالنوعية أكثر من الكمية، ولا تغلب الجانب السياسي والتنظيمي على الجانب التربوي، وهذا من شأنه أن يجعل من قاعدتها قوية ومتينة، على عكس من يهتم من الجماعات بالعدد والكم دون الاهتمام بالتكوين القوي والتربية القويمة[(4)]، فأفراد هذه الجماعات يسهل على أحدهم التخلي عن جماعته عند أي محك، أو التخلي عن الدعوة بالكلية.

وإن هذه التربية يجب أن تقوم على جانب من الشمول والتكامل فتشمل: التربية العقدية، والتربية الروحية والخلقية، والتربية الاجتماعية، والتربية الجسمية، والتربية العقلية، وإعداد الفرد للدين والدنيا، حتى يكون نافعاً لنفسه وأمته.[(5)]

[(1)] صيد الخاطر، أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي، تهذيب وتعليق أسامة السيد، 138، ط5، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان،1417هـ–1996م.

[(2)] انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس، 407/1–408.

[(3)] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب45، حديث رقم(2378)، 187/4، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

[(4)] انظر: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، د.يوسف القرضاوي، 256، دون رقم طبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1394هـ–1974م، المتساقطون، 53، طريق الدعوة، 583.

[(5)] انظر: التربية السياسية عند جماعة الإخوان المسلمين، عثمان عبد المعز رسلان، 399–401، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، دون تاريخ، الإخوان المسلمون 70 عاماً في الدعوة، 213.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فقد تعهد الرعيل الأول من المسلمين بالتربية العقدية والأخلاقية، قبل الخوض في أي عمل تنظيمي أو سياسي، وإن دار الأرقم كانت من أكبر الشواهد على ذلك[1]، مع الحفاظ على الموازنة بين هذه الجوانب دون أن يطغى جانب على الآخر.

ومما هو جدير بالذكر أن منطق اعتبار بعض الأشخاص فوق التربية، أو بدون حاجة إلى التربية، منطق مرفوض بالكلية، وهذا المنطق هو الذي يتسبب في إسقاط هؤلاء الأشخاص أو تساقطهم، فهذا التفكير مناقض للإسلام فهو يفرض على المؤمن دوام المتابعة والتنمية الإيمانية[2]، فالثبات بيد الله تعالى وحده، فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ)**[3].

وعلينا أن نعرف أن أي تغيير نريده في المجتمع يبدأ بالأفراد، فإما نهوض وقوة، وإما انحلال وضعف، وذلك عندما يفقد الإيمان سيطرته على نفوس الأفراد، فتتخلى شيئاً فشيئاً عن المنهاج القويم[4]، وهذا كله تتحكم فيه الجماعة المسلمة وبيدها أن تحدث هذا التغيير من خلال أفرادها، والذين هم جزء من المجتمع، كل هذا من شأنه أن ينشأ داعيةً صلباً لا يتعرض للزلل بسهولة، فتجده ثابتاً في الملمات، على عكس من كانت تربيته هشة فإنه يتعرض للتساقط عند أي محنة من المحن.

ثانياً– وضع الأفراد في المكان غير المناسب:

إن شغل الفرد المكان الذي يصلح له، من شأنه أن ينجح العمل ويؤتي بثماره بصورة جيدة، لكن ما يحصل أحياناً هو وضع الفرد في مكان غير مناسب لاختصاصه، أو أن يكون الفرد غير كفء للمكان المتواجد فيه، فيفسد العمل، ويضيع جهد العاملين.

إن المنهج الإسلامي يطالب بوضع الفرد في المكان المناسب، وتولية الأصلح فالأصلح، والتطبيق الحق للشريعة الإسلامية، بأن يتولى كل أمر من الأمور من هو أنسب له وأقدر عليه، فالاختصاص مطلوب، ولكل فن رجاله، أما الذي يعرف كل الأمور ويفتي في كل شيء، فهو في

---

[1] انظر: الرحيق المختوم، 70.

[2] انظر: المتساقطون، 55، بتصرف.

[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث(6569)، 130/11، قال الألباني: صحيح.(انظر:السلسلة الصحيحة، 261/4).

[4] انظر: التربية السياسية، 196.

الحقيقة لا يعرف شيئاً[1]، يقول تعالى: **{فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}**(الفرقان:59)، ويقول: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}**(النحل:43).

يقول د. يوسف القرضاوي: "ليس كل أعضاء الحركة الإسلامية قادرين على نشر الدعوة باللسان أو القلم، فإن مواهب الناس تختلف، وقدراتهم تتنوع، ولا عجب أن تجد كثيرين قادرين على العمل الاجتماعي، غير قادرين على العمل الفكري، فمن الخير أن يشغل هؤلاء بما يناسب استعدادهم وخبراتهم، بدل أن يتركوا في فراغ، فيملوا أو يفتروا، أو ينقطعوا".[2]

وإن وضع الأفراد في غير أماكنهم المناسبة، يعد تضييعاً للأمانة، وهو الذي حذرنا منه ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ. قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ)**.[3]

قال العيني: "والمراد من الأمر جنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة والسلطنة والإمارة والقضاء والإفتاء، وقال الكرماني: أسند الأمر أي فوض المناصب إلى غير مستحقيها كتفويض القضاء إلى غير العالم بالأحكام كما هو في زماننا."[4]

فاختيار الشخص للمكان المناسب من الأمانة التي يجب أن يلتزم بها أصحاب القرار، والتي يجب أن تخضع لمعايير علمية دقيقة، دون مجاملات أو محاباة، ومن شأنها أن تكون حصانة للفرد من التساقط أو الزلل لكونه راسخاً في عمله متخصصاً فيما يقوم به.

ثالثاً- تراكم العمل بيد فئة محدودة:

وهي من المشكلات التي تؤثر سلباً في نفسية الأفراد، الذين تم إقصاؤهم عن العمل وعدم توظيف قدراتهم، فيحس الفرد منهم بعدم أهميته في المجال الدعوي، فتبرد همته، وتخور عزيمته، ويتساقط بسهولة، وكذلك الذين تم تحميلهم من التكاليف أكثر من طاقتهم، الأمر الذي يؤدي بهم إلى الانقطاع.

---

[1] انظر: الإخوان المسلمون والدولة الإسلامية، أ.السيد يوسف، 44، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997م، الحل الإسلامي، 252-253.

[2] الحل الإسلامي: 222.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، حديث(6496)، 104/8.

[4] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود العيني، ضبط وتصحيح عبد الله محمود عمر، 128/23، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ- 2001م.

فلابد للجماعة الإسلامية أن توظف كل أفرادها بحسب طاقاتهم وقدراتهم، ولا تستهين بأي فرد أياً كان حجمه، وكل فرد يجب أن يشعر بالمسؤولية، وأنه فرد منتج وفعال؛ حتى لا يركن[1].

يقول د. يوسف القرضاوي: "يجب أن تحاول الحركة ملء الفراغ عند أفرادها، بما ينفعهم وينفع بالتالي حركتهم معهم، وأن تشغل كل فئة بما يناسبها، ولتحذر من طول الفراغ فإنه ممل وقاتل، ولا يؤدي إلا إلى اليأس والانقطاع، أو الميل والانحراف".[2]

رابعاً- عدم متابعة الأفراد:

إن من مهمات الجماعة، رعاية الأفراد والاهتمام بهم، وتوظيف الجميع -كما ذكرنا- في المكان المناسب، لكن لا يقف دورها عند هذا الحد، فمن واجبها أيضاً متابعة الأفراد كبر شأنهم أو صغر، فذلك يشعر الفرد باهتمام الجماعة به واحتضانها له، وإلا لو وقع الفرد في أزمة نفسية، أو مادية، أو اجتماعية، ولم يجد أحداً من جماعته يهتم به وهو في هذه الأزمة، سيتخلى هو بالتالي عنها، وربما عن كل الدعوة، ويسلك غير طريقها[3].

والقادة في الجماعة عليهم عبء من هذه المسؤولية، فمن الصفات التي يجب أن يتصف بها القائد متابعة الأفراد ومباشرة الأمور بنفسه، فهذا يقوي الصلة بين القائد والأفراد، ويزيد من الثقة المتبادلة بينهم، وهذا من شأنه أن يثبت قدم الفرد على طريق الدعوة، ويلزمه بنهج الجماعة باستمرارية.[4]

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أنه قال: " أَرَأَيْتُمْ إِنِ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَ مَنْ أَعْلَمُ ثُمَّ أَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ، أَفَقَضَيْتُ مَا عَلَيَّ ؟ " قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: " لا، حَتَّى أَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ أَعَمِلَ بِمَا أَمَرْتُهُ أَمْ لا".[5]

وهذه المتابعة تكون أيضاً من قبل الأفراد فيما بينهم، غير مقتصرة على القائد أو المسئولين في الجماعة، فإن العلاقة بين المجموعة المسلمة لابد أن تكون قوية ومتماسكة، حتى لا ينخلع

---

[1] انظر: الحل الإسلامي، 257، المتساقطون، 63-64.

[2] الحل الإسلامي، 257.

[3] انظر: المتساقطون، 65.

[4] انظر: فصول في الإمرة والأمير، سعيد حوى، 67، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، 1402هـ-1982م، الحل الإسلامي، 252.

[5] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي التقي الهندي البرهان فوري، تحقيق، بكري حياني – صفوة السقا، كتاب الخلافة مع الإمارة، باب الترغيب في الإمارة، رقم(14328)، 768/5، ط5، مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م، لم أقف على حكم للرواية.

الفرد منها بسهولة، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبي صلى الله عليه وسلم قَالَ : **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[1].

إن قسوة الظروف المحيطة بالفرد، لا يخففها إلا التضامن معه من قبل إخوانه في الجماعة وهذا يزيد من ثباته على الدعوة، والتزام طريقها القويم.

وإن تجربة المؤاخاة في المدينة المنورة[2]، هي من أكبر الأمثلة على التكافل الاجتماعي المنشود بين أفراد الجماعة المسلمة.

"إن هذه المؤاخاة كانت تدريباً عملياً على التكافل، وهو معنى من المعاني العميقة في بناء الجماعة الإسلامية، القادرون يكفلون غير القادرين على أساس الأخوة في الله من جانب وعلى أساس التصرف في مال الله بما يرضي الله من جانب آخر".[3]

بل إن الأمر امتد لما هو أبعد من ذلك، فقد جعل الإسلام النصيحة والتقويم هي صفة لازمة بين أفراد المجتمع الإسلامي والجماعة الإسلامية، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ[4] رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **(الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قَالَ: قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)**[5]، الأمر الذي بتحققه يستقيم حال الفرد والجماعة المسلمة، وإذا غاب أو تباطأ عنه أصحابه، انحل عقد الجماعة أو تراجع بناؤها.

خامساً- عدم أهلية القيادة:

إن ثقة الفرد في الجماعة الإسلامية في كفاءة القيادة وإخلاصها، يؤدي إلى نجاح العمل

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث(6751)، 20/8.

[2] انظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، 244/4، دون رقم طبعة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، 1410هـ-1990م.

[3] منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، 69/2، ط10، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1412هـ-1992.

[4] هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير، لم يشهد بدراً لصغر سنه، اختلف في شهوده أحداً، أول مشاهده الخندق، كان كثير الاتباع لآثار النبي صلى الله عليه وسلم، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر، توفي سنة ثلاث وسبعين وهو ابن ست وثمانين وقيل غير ذلك.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة..، رقم(57)، 21/1.

الدعوي واستمراريته، فالقيادة في الجماعة بمثابة الرأس للجسد تحدد الأهداف وتتجمع عندها المعلومات، فإن لم تمتلك القيادة الكفاءة الفكرية والعلمية والسياسية والتنظيمية التي تؤهلها لقيادة الجماعة، زالت تلك الثقة المتبادلة بينها وبين الأفراد، مما يؤدي إلى انسلاخهم عن هذه الجماعة وعن الدعوة بالكلية[1].

إن القيادة يجب أن تتمتع بالأخلاق الحسنة والفضائل الكريمة، والإخلاص في القول والعمل، وأن تكون قدوة يحتذى بها؛ لأن الأفراد دائماً ما تكون تطلعاتهم تجاه القادة على أنهم أناس يقتربون من الكمال في الأخلاق والفضائل والإخلاص[2]، مثلهم في ذلك مثل قادة الأمة من الأنبياء والصالحين، يقول تعالى: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}** (الأنعام:90) ، فإن غابت تلك القدوة، اهتزت تلك الثقة الممنوحة للقيادة، وبالتالي سهل على الفرد الانسلاخ عن الجماعة وعن الدعوة بأسرها.

ومما يجب أن تتصف به القيادة الحكيمة والذي يؤدي إلى تماسك الأفراد وثباتهم، هو الحزم وسرعة حسم الأمور، حتى لا تتراكم المشكلات أمام الجماعة الإسلامية[3]، دون حلول مطروحة أو ملموسة مما يضعف الثقة بالقيادة، والجماعة ككل.

سادساً- الصراعات الداخلية:

إن من أهم مميزات الجماعة الإسلامية هو وحدة الصف، ووحدة الكلمة، وقوة الرابطة بين أفرادها، ولكن في بعض الأحيان قد تقع في بعض الجماعات الإسلامية اختلاف الكلمة، وتمزق الأواصر فيما بين أفرادها، فتختلف الاتجاهات والآراء[4]، حتى يصل الاختلاف إلى حد تخلي الأفراد عن الجماعة وعن الدعوة إلى الله معاً.

لقد حذرنا القرآن الكريم من التنازع، لأن ذلك يذهب من قوة المسلمين ومنعتهم، قال تعالى: **{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** (الأنفال:46)، ومما هو معلوم أن العمل الجماعي الإسلامي واجب لنصرة الدعوة الإسلامية، وتحرير الأرض الإسلامية، فلابد للعاملين فيه من الارتباط فيما بينهم برباط الأخوة الإيمانية يقول

---

[1] انظر: في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا، ركن الثقة، د.علي عبد الحليم محمود، 317-318، دون رقم طبعة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1420هـ-1999م، طريق الدعوة، 485، المتساقطون، 74.

[2] انظر: المتساقطون، 76-77.

[3] انظر: فصول في الإمرة، 46.

[4] انظر: الحل الإسلامي، 245-246.

تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**} (الصف:4)، وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**)[1][2]، وهذا من شأنه أن يحمي الفرد من الزلل والتساقط فيجد من يوجهه إذا زلّ أو أخطأ.

سابعاً- التمزق بين الجماعات الإسلامية:

إن وحدة العمل الإسلامي واجب شرعي وضرورة واقعية، يقول تعالى: {**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** } (آل عمران:103)، ولكن ما نشهده في الساحة الإسلامية اليوم هو التشرذم والانقسام، والاختلاف المذموم بين جماعات العمل الإسلامي، والذي يؤدي بالفرد في أي جماعة للاضطراب بين هذه المدارس الدعوية المختلفة، والتي في الحقيقة ما يجمعها أكثر مما يفرقها ولكن الشيطان نزغ بينهم[3].

لذا لا غرابة أن تجد من بين أفراد المجتمع الإسلامي أو الجماعات الإسلامية المختلفة من يؤثر القعود والسلبية في العمل الدعوي على دوامة الفرقة والتناحر والتنافر الحاصل بينها.

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان: "لا شك أن لهذا العامل في تباين الجماعات الإسلامية وتمزقها، الأثر الاجتماعي الأكبر في اختلاف كلمة المسلمين، وتشتيت وحدتهم، كما أن له الأثر العظيم في قعود كثير من العاملين للإسلام عن مسيرتهم في طريق الدعوة، وعن اهتمامهم بشؤون المسلمين وعن بناء العز المستقبلي لأمة الإسلام".[4]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، حديث(2446)، 129/3.

[2] انظر: الإخوان المسلون 70 عاماً من الدعوة، 200-201.

[3] انظر: طريق الدعوة، 567.

[4] عقبات في طريق الدعاة، 629.

المبحث الثاني

الأسباب الخارجية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول– الاستعمار العسكري.

المطلب الثاني– الأنظمة الحاكمة.

المطلب الثالث– الغزو الفكري.

المبحث الثاني

الأسباب الخارجية للتساقط في العمل الإسلامي

تتعلق الأسباب الخارجية بما يحيط الداعية من أجواء فكرية وسياسية عامة، كأنظمة حاكمة، واستعمار يسيطر على الوسائل السياسية والتعليمية، أو يتدخل فيها، وبين غزو فكري ونحو ذلك مما قد يؤثر سلباً على الشخصية الإسلامية للداعية.

وقد يضطر مكرهاً للابتعاد عن طريق الدعوة بسبب الضغوط الخارجية، والمكائد المحاكة من القوى المحلية والأجنبية الدخيلة، وقد نبه المولى عز وجل في كتابه الحكيم إلى تلك المكائد، وذكر المحاولات الحثيثة لأهل الكتاب والمشركين، لثني المسلمين عن دينهم.

يقول تعالى: **{وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}** (البقرة:217)، ويقول تعالى: **{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}** (البقرة:109)، ويقول ابن كثير في تفسيره للآية: "يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طَرَائق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم. ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح"[1].

وما سنتناوله في هذا المبحث بإذن الله سيوضح تلك المكائد والمؤامرات التي تحاك ضد الشخصية المسلمة، والتي تسببت في جعل بعض الدعاة فريسة لها كغيره من شرائح المجتمع الإسلامي الأخرى، وهو ما يمكن بيانه في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول- الاستعمار العسكري:

لقد واجه العالم الإسلامي على مدار سنين الضعف أشكالاً من القوى الاستعمارية، من الشرق ومن الغرب، أثرت فيه سلباً، وكان هدفها الرئيس مهما اختلفت أشكالها، هو القضاء على الإسلام، والحقد الدائم عليه وعلى المسلمين، قال تعالى: **{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}**(البقرة:120)[2]، فخوفهم من المد الإسلامي على حساب نفوذهم

---

[1] تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، 382/1، ط2، دار طيبة للنشر، 1420هـ-1999م.

[2] انظر: التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف، 136، ط1، دار السلام، مصر، 1418هـ -1997م.

العالمي(السياسي والاقتصادي)؛ أدى إلى تلك الهجمات المتكررة للعالم الإسلامي والعربي.

يقول الدكتور صادق الدجاني: "لا يزال الوطن العربي كجزء من العالم الإسلامي، يواجه محاولات القوى الغربية للهيمنة عليه، وإحكام قبضتها على مقدراته، وهي محاولات مستمرة منذ قرون استهدفت العالم الإسلامي كله؛ لما فيه من ثروات، ولما يمثله من ثقل حضاري، ولما يتميز به موقعه من أهمية"[1].

وقد استخدم الاستعمار كل الوسائل الممكنة في تحقيق هذا الهدف الرئيس وغيره من الأهداف الأخرى، فاستباح كل المحرمات وهدم المساجد والكنائس، وسيطر على كل وسائل التعليم والإعلام، فعمل منذ أن بدأ سيطرته على العالم الإسلامي على غزو العقل الإسلامي من خلال ثلاث قوى كبرى، هي المدرسة والثقافة والصحافة[2].

كل ذلك كان له الأثر الكبير على أبناء المسلمين عامة وعلى الدعاة خاصة، لما يلقاه الداعية من الصعوبة في مواجهة مكائد الاستعمار، وتحمل تبعاته.

إن القوى الاستعمارية الصليبية واليهودية، سيطرت على العالم الإسلامي والشخصية الإسلامية من خلال وسائل مباشرة وغير مباشرة، كلها تهدف إلى زعزعة الشخصية الإسلامية، وتسعى لسلخها من الهوية العربية والإسلامية، وهو ما يمكن إجماله في النقطتين الآتيتين:

أولاً- الوسائل المباشرة:

لقد تعاون الصليبيون مع اليهود والصهاينة في تحقيق مخططاتهم في السيطرة على العالم الإسلامي، والقضاء على الإسلام والمسلمين، وأبدى كل منهم استعداده الكامل للوقوف بجانب الصف الآخر بغية تحقيق هذه المهمة، فالعدو والهدف واحد، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}** (الأنفال:73)، فاليهود يحسنون انتهاز الفرص واستغلالها، فانتهزوا فرصة ابتعاد الأوروبيين عن دينهم بسبب اضطهاد الكنيسة، فسخّروهم لخدمة مصالحهم الاستعمارية، ثم استغلوا فرصة غياب المسلمين عن دينهم، فانقضوا عليهم من كل جانب بالتعاون مع الصليبيين، فحققوا

---

[1] الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي، تحرير وتقديم د.سعد الدين إبراهيم، 131، ط1، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، 1988م.

[2] انظر: السابق، 135-136، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، 3، دون رقم طبعة، المكتب الإسلامي، سوريا، 1398هـ - 1978م.

بذلك غاياتهم المنشودة[1].

وفيما يلي بيان لبعض الخطط الاستعمارية التي قام بها المستعمرون في البلاد الإسلامية، والتي كان لها الأثر البالغ في اهتزاز واضطراب شخصية المسلم ولاسيما الداعية:

1-تذليل مهمات المبشرين بالنصرانية، ومهمات المستشرقين العاملين على تنصير أبناء المسلمين، أو إخراجهم من الإسلام إلى الإلحاد والكفر بكل القيم الدينية[2]، الأمر الذي أفرز لنا كثيراً من دعاة التغريب الذين قاموا إلى جوار أعداء الإسلام بالنيل من فكر الأمة وعقيدتها.

يقول الأستاذ أنور الجندي: "قد استطاع النفوذ الاستعماري أن يحتوي عدداً كبيراّ من أبناء المسلمين والعرب لهذا المخطط ممن علمهم في معاهد الإرساليات وجامعاته المتخصصة في هذا الشأن أمثال معهد الدراسات الشرقية وغيره، ممن استقدمهم إلى الغرب حين تتلمذوا على المستشرقين وأساتذة مدرسة العلوم الاجتماعية...ويستبطنها جميعاً النفوذ التلمودي اليهودي الصهيوني الذي استطاع في السنوات السبعين الأخيرة أن يحتوي الفكر الغربي الأوروبي، وأن يسيطر عليه"[3].

2-فصل الدين عن الدولة وسائر الأمور السياسية، وإلغاء الحكم الإسلامي نهائياً[4].

3-افتتاح المدارس والمعاهد والجامعات العلمانية، وغيرها من القضايا الظاهرة لكل من عاصر الاستعمار في أي قطر دخله من الأقطار الإسلامية، كالجزائر والمغرب والهند والباكستان، ومصر وسورية والسودان وغيرها، مثل مدارس "اللاييك" وكلية البنات في القاهرة، والجامعة الأمريكية بفروعها المنتشرة في معظم البلاد الإسلامية.[5]

يقول الأستاذ عبد الرحمن الميداني: "وفي مقدمة أهداف التعليم الذي تؤسس الدولة الاستعمارية مؤسساته، أو تشرف على توجيه مناهجها وبرامجها بسلطة إدارتها الاستعمارية، تربية

---

[1] انظر: التمكين للأمة الإسلامية، 137-138، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، 81-85، ط1، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، 1411هـ-1991م.

[2] أجنحة المكر الثلاثة التبشير الاستشراق الاستعمار، عبد الرحمن حبنكة الميداني، 181، ط8، دار القلم، دمشق، سوريا، 1420هـ- 2000م.

[3] شبهات التغريب، 3-4.

[4] أجنحة المكر، 181.

[5] انظر: السابق، 181، غزو في الصميم، دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والسلوكي، عبد الرحمن حبنكة الميداني، 29-30، ط3، دار القلم، دمشق، سوريا، 1410هـ- 1990م.

أجيال من أبناء المسلمين تدين بالولاء والطاعة للمستعمرين حكومةً وشعباً، وتنسلخ عن ولائها للإسلام، وولائها لأمتها الإسلامية، وتقتبس المفاهيم والعادات الغربية، وكل أنواع السلوك التي يأتي بها المستعمرون، وتتقبل لمجتمعاتها الأنظمة التي تزينها لها الدوائر الاستعمارية، أو تفرضها عليها، إلى غير ذلك من أهداف فرعية"[1].

4–الضغط على التعليم الإسلامي التقليدي، واتخاذ مختلف الوسائل التي تفضي إلى إلغائه نهائيا[2].

5–إفساد أخلاق الشعوب المسلمة، وتقطيع روابطها الاجتماعية بمختلف الوسائل، كنشر الرشوة، والكذب، والخيانة، والإهمال الوظيفي، وتعود البطالة والكسل، وغير ذلك من المفاسد الأخلاقية الفردية والاجتماعية[3].

6–وضع السلطات الإدارية الفعالة في البلاد في أيدي النصارى الوطنيين، ثم في أيدي الأقليات الطائفية غير الإسلامية، ثم في أيدي ذيولهم من مستغربين علمانيين وملاحدة وماسونيين وأشباههم، ومساعدة هؤلاء على تعلم العلوم التي تميزهم وتؤهلهم لاحتلال أرفع المناصب العلمية والعملية في البلاد مع حرمان أبناء المسلمين من ذلك[4].

7–إثارة الفتن والنعرات الطائفية بين المسلمين وغيرهم، والنعرات القومية والمذهبية والحزبية، لاتخاذ ذلك ذريعة للضغط على المسلمين، وتبديد قواهم جميعاً، وتمكين الطوائف غير المسلمة من مواطن القوة والمعرفة والمال في البلاد، واصطناع فرق منحرفة عميلة ضمن شعوب الأمة الإسلامية[5].

8–السيطرة على وسائل الإعلام، والصحافة، للتأثير على الرأي العام بما يحقق أهدافها التخريبية[6]، وتوظيف الطاقات المختلفة المتأثرة بالفكر الغربي، بهدف تغريب المسلمين، يقول العلامة أبو الحسن الندوي: "فهنالك شبان مسلمون وكتاب بارعون يتولون تحرير الصحف والمجلات التي تصدرها الحكومات الأجنبية، لنشر دعاياتها في بلاد المسلمين، والتأثير على

---

(1) غزو في الصميم، 30.

(2) أجنحة المكر، 182، وانظر: غزو في الصميم، 32–33

(3) أجنحة المكر، 182.

(4) السابق، 183.

(5) السابق، 183.

(6) السابق، 184، بتصرف.

عقليتهم ونفسيتهم، وتمويه الحقائق بمقدرة المأجورين من المسلمين أنفسهم"[1]، ويقول: "فيكتب أديب أو صحافي اليوم كتاباً حماسياً في سيرة بطل من أبطال الجهاد الإسلامي، أو مجدد من مجددي الإسلام، ولا يجف مداد مقالته أو كتابه ذلك حتى يكتب بقلمه تقريظاً أو ثناءً على خائن من خونة الأمة، أو صنيعة من صنائع الأجانب لمصلحة سياسية ومنفعة مالية، ولا يرى في ذلك تناقضاً"[2]، فهذه أصوات مأجورة للغرب الاستعماري، والتي لا تألوا جهداً في مد يد العون له لتخريب وتشويه صورة الإسلام والمسلمين وبث الفتن بينهم.

9-شراء العملاء من المتعلمين والعسكريين والتجار، وربط المصالح التجارية والثقافية والعسكرية وغيرها بتحقيق أهدافهم، سواء أكان ذلك فيما يسمى بالقطاع العام أم بالقطاع الخاص[3]، ومن ذلك ما يفعله الاحتلال الصهيوني العسكري في فلسطين، فهو يجند ضعاف النفوس من أبناء الوطن، وهذا وإن كان قليلاً، فله الأثر الكبير في تخريب الصف المسلم، إذ من لوازمه اتباع أشنع الوسائل بغية تجنيد خيرة الشباب الفلسطيني وضمه قهراً إلى الصف الإسرائيلي، فيتصيد لهذا الإنسان الزلات والهفوات أو يوقعه في مكيدة وفخ دون أن يشعر، ثم يهدده بفضح أمره أمام أهله والمجتمع من حوله، فيتعاون هذا الشخص مع الاحتلال خوفاً من الفضيحة، ومن ثم توظيفه لخدمة أهدافه ومصالحه الاستعمارية.

10-محاربة الدعاة وزجهم في سجون الاحتلال، والضغط عليهم بشتى وسائل التعذيب ومحاولات التشهير بهم، أو تعذيب ذويهم في سبيل ثنيهم عن طريق دعوتهم.[4]

تلك أهم الخطط الاستعمارية التي استخدمها الاستعمار سابقاً -ولا يزال- في البلاد الواقعة تحت الاحتلال، والتي أدت إلى تكوين جيل منسلخ عن الإسلام والولاء له، انسلاخاً جزئياً أو كلياً، مرتداً عن عقيدته الإسلامية وعن المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وقد حذرنا النبي ﷺ من تكالب الأمم علينا نحن المسلمين في أكثر من موضع ونبهنا لخططهم الاستعمارية الاستعبادية بصورة مباشرة وغير مباشرة في أحاديثه النبوية، فعن ثَوْبَانَ[5] رضي الله عنه مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ

---

[1] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، 220، دون رقم طبعة، مكتبة الإيمان، مصر.

[2] السابق، 221.

[3] السابق، 184.

[4] انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، د.صالح الرقب، 35-36، ط5، دون دار نشر، 1423هـ-2003م.

[5] هو ثوبان بن بجدد وقيل ابن جحدر، وهو من حمير من اليمن وقيل من السراة، مولى رسول الله ﷺ، صحابي مشهور، اشتراه ثم اعتقه، فخدمه إلى أن مات ﷺ، ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ومات بها سنة أربع وخمسين للهجرة.(انظر: أسد الغابة، 480/1، الإصابة، 112/1).

رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– (**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُور عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**)[1].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ[2] رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ**)[3]، أي "لتتبعن سنن من قبلكم اتباعاً بشبر ملتبس بشبر، وذراع ملتبس بذراع، وهذا كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا في الكفر... ووجه التخصيص بجحر الضب؛ لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم، لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهم"[4].

وهذه الوسائل من شأنها أن تؤثر على الداعية، فتبعده عن دعوته كلياً أو جزئياً فهو أحد المستهدفين من هذه الوسائل، وقد يكون المستهدف الأول.

ثانياً– الوسائل غير المباشرة:

إن وجود الاستعمار في أي من البلاد الإسلامية، وسلبه لخيرات البلاد، وتخريبه للبلاد اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، دون حراك من المسلمين، ودون مواجهة صارمة من المجاهدين، وضعف ووهن من المسلمين، يؤدي إلى الهزيمة النفسية، وهو من الآثار غير المباشرة للاستعمار، فوجوده في البلاد الإسلامية، أو خروجه منها منتصراً– ليس بالضرورة انتصاراً عسكرياً– يضعف ثقة المسلمين بإسلامهم، وهذا خطأ فيهم طبعاً لا في الإسلام ذاته، فالوهن والخور منهم.

يقول الأستاذ عبد الرحمن الميداني بعد أن ذكر بعض نتائج الغزو على البلاد الإسلامية،

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم(4297)، 514/2، دون رقم طبعة، دار الفكر، دون تاريخ. قال الألباني: الحديث بمجموع طرقه صحيح.(انظر: السلسلة الصحيحة، 647/2–648).

[2] هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن الخزرج الأنصاري الخدري، كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين في الرواية عنه، أول مشاهده الخندق، كان من الفضلاء العقلاء، توفي سنة أربع وسبعين ودفن في البقيع.(انظر: أسد الغابة، 452/2، الإصابة، 85/3).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم(3456)، 169/4.

[4] عمدة القاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم(3456)، 60/16–61.

والتي منها تلقيهم الضربات المتتالية والتي عملت على إخراجهم من دينهم وأخلاقهم الإسلامية، يقول: "ومن شأن هذه الضربات المتتاليات أن ترسم في النفوس الضعيفة صوراً من اليأس والقنوط، وترسم في النفوس القوية صوراً من الأمل والرغبة بالتنافس والتحدي، ولكن هجر عامة المسلمين لإسلامهم أضعف نفوسهم"[1].

ومن نتائج هذه الهزيمة النفسية، اتباع المغلوب للغالب في كل مذاهبه وطرقه، وهذا ما ذكره ابن خلدون في مقدمته في أن المغلوب مولع باتباع الغالب لأسباب ذكرها كالتالي: " إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء، أو لما تراه، والله أعلم"[2].

المطلب الثاني- الغزو الفكري:

1- تعريفه:

هو: "تغيير أحوال المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، عن طريق استعمار القلوب والعقول، وتبديل الأفكار والقيم والعقائد، فيصبح المغزو فكرياً خاضعاً بشكل تام لقادة الغزو وجنوده"[3].

بعد أن عرف الغرب الصليبي والصهيونية العالمية، فشل الخطة العسكرية في تغيير الشخصية الإسلامية وطمسها، وإن كانت أثرت ولكن تأثيرها لم يكن بالشكل المطلوب عندهم، عمدوا لتغيير الخطة العسكرية بأخرى فكرية، قد يكون لها الأثر الأكبر في تحديد أهدافهم المرجوة، وهذا ما حصل بالفعل[4]، فلجأ الغرب لما يسمى بالغزو الفكري.

---

[1] أجنحة المكر، 754.

[2] مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، 147، دون رقم طبعة، دار الفكر، دون تاريخ.

[3] واقعنا المعاصر، صالح الرقب، 39، وانظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، 182، ط1، دار الشروق، مصر، 1418هـ- 1997م.

[4] انظر: التمكين للأمة الإسلامية، 139-140، واقعنا المعاصر، صالح الرقب، 35-36.

وللغزو الفكري أهداف متعددة، أهم هذه الأهداف القضاء على الإسلام جملة وتفصيلاً، وتشويه صورته في نفوس المسلمين، فتقل الثقة بهذا الدين، ويعتزله المسلمون كما اعتزل النصارى دينهم.[1]

كما ويتخذ الغزو الفكري أشكالاً مختلفة، عمد إليها الغزاة، وتفننوا فيها، من هذه الأشكال: التبشير أو التنصير والاستشراق والتغريب، ومن شأن هذه الصور من الغزو الفكري أن تهز شخصية الداعية، وتؤثر في عقيدته وأخلاقه وعاداته وتقاليده دون أن يشعر، وتجعلها في اضطراب يؤدي إلى تساقطه جزئياً أو كلياً، فهذه الصور أثرت على الثقافة المعرفية والتي هي من عوامل تكوين الشخصية، وهي "التي يكتسبها الفرد من مصادر عديدة مثل الكتب والمجلات والجرائد، وكذا مشاهداته مثل السينما والتلفاز والإذاعة المسموعة..."[2]

"وهذه الأجهزة والوسائل تستطيع تحوير الشخصية حسب ما يغلب عليها من معتقدات وثقافات وبيئات، أو أقل ما تفعله اهتزاز الشخصية وأرجحتها، وهذا وحده خطر على الشخصية الإسلامية"[3].

ولخطورة أشكال الغزو الفكري على الداعية؛ سنعرض كل واحدة منها على حدة ونبين دورها في تشويه الفكر الإسلامي لدى الدعاة، والتأثير على فاعليتهم في الدعوة.

أولاً- التنصير:

1- تعريفه:

"هو الدعوة إلى النصرانية ومحاولة دفع الناس للدخول فيها بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة"[4].

وهو"التنصير الرامي إلى زعزعة العقيدة الإسلامية في قلوب ونفوس المسلمين وتشكيكهم فيها، وبالتالي إخراجهم من الإسلام"[5].

---

[1] انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، 40، التمكين للأمة الإسلامية، 140-141.

[2] علم نفس الدعوة، د.محمد زين الدين، 127، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1415هـ- 1995م.

[3] السابق: 128.

[4] احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د.سعد الدين السيد صالح، 35، ط1، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، مصر، 1419هـ- 1998م.

[5] واقعنا المعاصر، صالح الرقب، 45.

ويطلق عليه التبشير لكن الأصح أن يطلق عليه مصطلح التنصير، لأن التبشير يكون مطلقاً في الخير، واستخدم مصطلح التبشير لتعارف أهله النصارى عليه[1]، يقول الأستاذ عبد الرحمن الميداني: "وأصل التبشير في اللغة الإخبار بما هو خير، أو تبليغ ما هو خير، ولكن واقع حال المبشرين الصليبيين وأهدافهم من التبشير، جعلت التبشير يحمل معنىً آخر غير معناه اللغوي الأصلي"[2].

ومن الواضح أن الهدف من هذا الأسلوب ليس فقط تنصير المسلمين بدخولهم النصرانية، وإنما هو زعزعة الشخصية المسلمة وتشكيكها في دينها، وهذا من أخبث الوسائل، يقول القس صموئيل زويمر قطب التبشير الصليبي: "إنه ليس غرض التبشير التنصير فقط، ولكن أقصى ما يجب على المبشر عمله، هو تفريغ القلب المسلم من الإيمان بالله"[3].

ولقد استخدم المبشرون وسائل متعددة لتحقيق أهدافهم، بعضها واضح وصريح في خدمة النصرانية، من بناء للكنائس وتوزيع للأناجيل، ودعوة للنصرانية صراحةً، والبعض الآخر ملتوٍ وخفي، فاستخدموا الطب والخدمات الاجتماعية، ورعاية الطلبة، والمكتبات والصحافة، واستخدموا النوادي والجمعيات الخيرية، والمؤتمرات، والمدارس التبشيرية[4].

وهذه من أخطر الوسائل التي اتبعها المبشرون في طريق تحقيق أهدافهم الخبيثة، ففي الواقع إن هذه المدارس تنشئ أجيالاً من أبناء المسلمين المتحللين من دينهم عقيدةً وسلوكاً وأخلاقاً، هذا ما تشهده البلاد الإسلامية حتى الآن، وحتى في بلدنا المحتل فلسطين وفي قطاع غزة بالتحديد، نجد من العائلات الفلسطينية المسلمة من لا يتوانى –ولو للحظة– في إرسال أبنائه للتعلم في هذه المدارس، دون وعي للأخطار التي تحدق بهم؛ بدافع كون هذه المدارس ذات تعليم قوي في العلوم واللغات المختلفة.

فنجد أن هذا الجيل متحلل من الأخلاق الإسلامية، متبع للغرب في كل ما يفرزه من أفكار ومذاهب، وعادات وتقاليد[5]، وتظهر هذه الأهداف من أقوال بعض المبشرين المؤسسين لهذه

---

(1) انظر: واقعنا المعاصر، صالح الرقب، 45، الحاشية.

(2) أجنحة المكر، 53.

(3) غزو في الصميم، 27.

(4) انظر أجنحة المكر، 53، احذروا الأساليب الحديثة، 58.

(5) انظر: غزو في الصميم، 24–25.

المدارس[1].

"على أن المبشرين استغلوا العلم النبيل ستاراً لغاياتهم...فقد تظاهروا بالعلم والإحسان إلى الناس وتظاهروا بالدين، ولكنهم في الحقيقة يريدون هم ومن استخدمهم أن يصلوا من طريق هذا النشاط البريء في ظاهره، إلى استعباد الشرق واستغلاله سياسياً واقتصادياً"[2].

كما أنهم تظاهروا بالاهتمام بمشكلات الشباب، لجذبهم تدريجياً لمبادئهم وأفكارهم، أو توجيههم مباشرة للأفكار النصرانية.[3]

ومن خلال هذا العرض لوسائل التبشير، ترى الباحثة أن الداعية في مواجهة خطر كبير، من أجل الحفاظ على دينه ومعتقده سليماً دون تسرب الشكوك، والمبادئ الغربية له، فإن لم يكن حذراً تجاه ما يدور من حوله من مكائد صليبية، سيقع في شركها، فيتزعزع الإيمان في قلبه وتحول من داعية للإسلام، إلى داعية للنصرانية دون أن يشعر.

يقول القس زويمر في خطبة خطيرة له مخاطباً المبشرين: "إنكم أعددتم شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز فللشهوات، ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء، إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم، فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب"[4].

وينذر هذا الخطاب بالخطر الشديد المحيط بأبناء الأمة، ويوقظ القلوب والعقول لتلك المكائد المحاكة ضده، ليتنبه ويتسلح بالعقيدة الصحيحة والأخلاق الإسلامية القويمة.

ثانياً– الاستشراق:

1– تعريفه:

---

[1] انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، د.مصطفى الخالدي، د.عمر فروخ، 66، دون رقم طبعة، المكتبة العصرية، لبنان، 1986م.

[2] السابق، 77.

[3] انظر: السابق، 76.

[4] غزو في الصميم، 27–28.

الاستشراق هو "حركة دراسة العلوم والآداب والحضارة الإسلامية، بهدف معرفة عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاههم وأسباب تقدمهم وقوتهم"[1]، و"هي الدراسات التي يقوم بها غير المسلمين من يهود ونصارى ونحوهم للدين الإسلامي وعلوم المسلمين، وتاريخهم، ولغاتهم، وأوضاعهم السياسية والثقافية والاجتماعية"[2].

لما فضح أمر التبشير وحركة التنصير وبانت أهدافه الخبيثة للمجتمعات الإسلامية، عمد الغزو لتغيير الخطة مرة أخرى فاتخذ من الاستشراق وسيلة أخرى لتحقيق أهدافه، فسار التبشير والاستشراق في اتجاه واحد لتحقيق أهداف الاستعمار الفكري.

وهذه الدراسات الاستشراقية كانت في المرتبة الأولى لصالح التبشير، وخدمة مصالح الاستعمار في البلاد العربية الإسلامية، وكان الهدف الرئيس لدراساتهم التشكيك في الإسلام، وإلقاء الشبهات حول مفاهيمه وتعاليمه.[3]

لقد بدأ الاستشراق خطواته الأولى باتجاه العقل الأوروبي ليحول بينه وبين اعتناق الإسلام...لكن في الواقع لم يقتصر جهدهم على مخاطبة العقل الأوروبي، ولا على حمايته من اعتناق الإسلام، وإنما تجاوزت إلى محاولة إلغاء النسق الفكري الإسلامي، ومحاولة تشكيل العقل المسلم، وفق النسق الأوروبي، وإنجاب تلامذة من أبناء العالم الإسلامي لممارسة هذا الدور[4].

لذلك فإن أهداف الاستعمار والتبشير والاستشراق، واحدة ويخطئ من يحاول التفريق بينها، فكلٌّ يسعى لتحقيق خطط الآخر.[5]

ودوافع الاستشراق متعددة: دينية، بدأها الرهبان الذين يحملون الحقد على الإسلام، فأرادوا الانتقاص من الإسلام وتشويه صورته وإثارة الشبهات والشكوك في مصادر التشريع الإسلامي، ودوافع أخرى استعمارية تكشف مواطن القوة في العالم الإسلامي للنفاذ من خلاله استعمارياً، وسياسية وأخرى اقتصادية تجارية، وقليل منها علمية لغرض الدراسة الموضوعية لعلوم الشرق

---

[1] احذروا الأساليب الحديثة، 58.

[2] واقعنا المعاصر، صالح الرقب، 58.

[3] انظر: السابق: 58، أجنحة المكر الثلاثة، 53-54، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، د.عمر عبيد حسنة، 19-22، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1412هـ- 1991م.

[4] مراجعات في الفكر، 25 بتصرف يسير.

[5] انظر: السابق، 25، التمكين للأمة الإسلامية، 146، واقعنا المعاصر، صالح الرقب، 70-71.

وحضارته.[1]

ومما هو جدير بالذكر أنه كان لليهود دور بارز في حركة الاستشراق، لخدمة مصالح اليهودية العالمية بالطبع، فاحتلوا المراكز الثقافية العالية في المعاهد الغربية التي تهتم بالدراسات الاستشراقية، بغية التأثير في توجهها وحركتها العلمية[2].

وقد تنوعت وتطورت أساليب المستشرقين في تحقيق أهدافهم المرجوة، ولكنهم اهتموا في المقام الأول بالتشكيل الثقافي للأمة الإسلامية، وفق خطة مدروسة، فخاضوا كل الميادين التي من شأنها أن تثبت وجهة نظرهم وآرائهم، فالاستشراق استطاع أن يملي على كثير منا وجهة نظره في موضوعات شتى.[3]

ومن الميادين التي خاضها الاستشراق بهدف زعزعة ثقة المسلم بدينه، وتشويه صورته في نظره، منها القدح في القرآن والتشكيك في نبوة سيدنا محمد ﷺ، والتشكيك في السنة والفقه الإسلامي، والتشكيك في التراث الإسلامي وتاريخ وأدب المسلمين وفي اللغة العربية، والتشكيك في مكانة المرأة ومنزلتها في الإسلام، وإحياء القوميات والنعرات الجاهلية والفرق والجماعات الضالة.[4]

مما كان له الأثر البالغ في أبناء المسلمين، فقد حولهم الاستشراق إلى أناس لا يحملون من إسلامهم إلا الاسم، يقلدون الغرب في عاداته وتقاليده وثقافته وفكره، كما كان له الأثر في إنتاج دعاة للتغريب من أبناء الأمة، والذين كانوا في دعوتهم للامتثال للمناهج الغربية غربيين أكثر من الغرب أنفسهم، إلى غير ذلك من الآثار من قتل للغة العربية وإحياء للأفكار الهدامة، وصرف المسلمين عن العلوم التجريبية والذي كان سبباً في تأخرهم الحضاري، والقعود عن الجهاد في سبيل لله، لما أدخلوه من تشويه لمفهوم الجهاد والقتال في سبيل الله.[5]

يقول أحد المستشرقين الصرحاء في كتاب الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته: "إننا في كل بلد إسلامي دخلناه، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك

---

[1] انظر: أجنحة المكر، 127-133.

[2] انظر: احذروا الأساليب الحديثة، 88.

[3] انظر: مراجعات في الفكر، 25-26

[4] انظر: واقعنا المعاصر، صالح الرقب، 66-69.

[5] انظر: احذروا الأساليب الحديثة، 95-106.

الحضارات"[1].

واتبع المستشرقون وسائل متعددة للوصول إلى هذه النتائج والآثار، لا تختلف عن تلك التي استخدمها التبشير والاستعمار، فاستخدموا المدارس والمعاهد والجامعات التي تخصصت في دراسة الشرق وحضاراته، وبثوا فيها سمومهم، وعقدوا المؤتمرات والندوات، واستخدموا المجلات والصحف لبيان نتائج دراساتهم، وألفوا الكتب والموسوعات التي تعبر عن وجهة نظرهم حول العالم الإسلامي، والتي تبناها فيما بعد بعض أبناء المسلمين الذين لهثوا وراء هذه الدراسات فتحولوا عن إسلامهم جزئياً أو كلياً.[2]

يقول الأستاذ عبد الرحمن الميداني: "سقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية، وغدت خططها ومناهجها وتوجيهاتها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتمليه هذه الأيدي الخفية، وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين ، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها"[3].

وهذا حصل لكثير من الدعاة ممن تخرج من الأزهر الشريف، أو من غيره من المعاهد الإسلامية في البلاد العربية، ثم ما لبث أن تأثر بتلك الدراسات، وحاد عن الطريق القويم، وأصبح ينعق بأفكار الغرب المستشرقين كأنه واحد منهم.[4]

فانظر أخي القارئ إلى حجم هذه الجهود والأموال التي ينفقها هؤلاء الغزاة من اليهود والنصارى لمحاربة هذا الدين، مما يدل على خوفهم الشديد من عودة الإسلام لقيادة العالم، واعلم أنه الحق من الله تبارك وتعالى، يقول تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}**(الأنفال:36).

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية: "ويبين المولى في هذه الآية أن هؤلاء المشركين قد كفروا بالله وصرفوا المال ليصدوا عن سبيل الله فلم يتحقق لهم ما أرادوا ولم يأت ذلك الأمر بأدنى نتيجة ، وكأن الحق يغري الكافر بأن يتمادى في الإنفاق ضد الإيمان ، فيخسر الكافر ماله

---

[1] واقعنا المعاصر، محمد قطب، 188.

[2] انظر: أجنحة المكر، 134-136.

[3] السابق، 153.

[4] انظر: احذروا الأساليب الحديثة، 39-41.

ويتجرع آلام الحسرة؛ لأن الله يغلبه من بعد ذلك"[1].

ثالثاً- التغريب:

1- تعريفه:

وهو"حركة كاملة، لها نظمها وأهدافها ودعائمها، ولها قادتها الذين يقومون بالإشراف عليها، تستهدف احتواء الشخصية الإسلامية الفكرية، ومحو مقوماتها الذاتية، وتدمير فكرها، وتسميم ينابيع الثقافة فيها"[2].

لقد اعتمدت خطة التغريب على تغيير أحوال المسلمين كلها في كافة الجوانب الاجتماعية والثقافية، ولكن على المدى البعيد، مستخدمة في ذلك العبارات اللطيفة التي تدغدغ العواطف، مثل المدنية والتقدم والحضارة، لإغراء بعض أبناء المسلمين المتعطشين لكل جديد وحديث مهما كان شكله وأياً كان مصدره[3].

"وهكذا جرت حركة التغريب وفق مخطط منظم لتدمير القيم الأساسية للفكر الإسلامي بمحاولات متعددة، تستهدف احتواء الفكر الإسلامي، وحمل المسلمين على قبول ذهنية غريبة عنهم، والتفريط في ذاتيتهم وذهنيتهم بعد انتقاصها الشديد بمحاولات تزييف التاريخ، وتشويه مبادئ الإسلام"[4].

لقد اهتمت حركة التغريب بإرسال الشبان المسلمين إلى الغرب لتلقي هناك التعليم اللازم لتحقيق الخطة التغريبية، فأخذوا العلم والفساد معاً، فعادوا وجروا مجتمعاتهم إلى الفساد الغربي والانحلال الخلقي.[5]

اتخذ التغريب وسائل عدة من أجل جعل المسلم غريباً في حياته الاجتماعية والثقافية، منها العلمانية والقومية والمرأة[6]، وكانت لهذه الوسائل الأثر البالغ في معارضة القيم الأخلاقية والدينية، وإشاعة روح الكشف والإباحية، وإسقاط دور الحضارة الإسلامية في التاريخ العالمي إسقاطاً كاملاً،

---

[1] تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، راجع الأصل وخرج الأحاديث د.أحمد عمر هاشم، 4694/8، دون رقم طبعة، مطابع أخبار اليوم، مصر، دون تاريخ.

[2] شبهات التغريب، 4.

[3] انظر: واقعنا المعاصر، صالح الرقب، 74-75.

[4] شبهات التغريب، 6.

[5] انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، 195

[6] انظر: واقعنا المعاصر، صالح الرقب، 80.

وإثارة دعوات جديدة كالبهائية[1] والقاديانية[2]، وتمزيق وحدة الفكر العربي الإسلامي بعزل الأخلاق عن التربية، والدين عن الأدب، والسياسة عن الدولة، وإثارة عشرات الدعاوى الإلحادية والإباحية.[3]

ووقع العديد من الدعاة في شرك التغريب، والشعارات الحضارية الكاذبة فمنهم من كان من أئمة المساجد فما إن ابتعث إلى الغرب الأوروبي حتى عاد بأفكار تحررية إلحادية إباحية، مثل الدعوة لتحرر المرأة ، والاختلاط والسفور، ووصف للملتزمين بأنهم رجعيون ومتخلفون عن ركب الحضارة.[4]

"وهكذا فإن تسلل الأفكار الغربية والشرقية المنحرفة عن الإسلام في واقع المسلمين، وتغلغلها حتى مسّت بعض الدعاة وبعض أبناء الدعوة، من العلل والأمراض التي أصابت المسلمين اليوم"[5]، "وذلك لأن الشعائر التي بني عليها الإسلام انقطعت في واقع الممارسة البشرية عن أهدافها، ولم تمتد إلى ميادين الحياة المختلفة، فلم تعد تمدها بالري اللازم من التقوى واليقين"[6].

فكان نتيجة تسلل هذه الأفكار أن تخلى معظم المسلمين عن التطبيقات الإسلامية، وانتشر الجهل بالمفاهيم والتعاليم الصحيحة، وأصبح الجري وراء الشهوات والمنافع والمادة هي أكبر غايات المسلم.[7]

وفي ضوء ما تقدم فإن الغزو الفكري يمثل خطراً حقيقيّاً على العمل الإسلامي والعاملين فيه

---

(1) البهائية: إحدى الفرق الباطنية الخبيثة الهدامة التي احتضنتها الصهيونية، وهي وريثة البابية التي تمتد إلى الشيخية والتي كان زعيمها أحد أئمة الإمامية، زعيم البهائية هو بهاء الله حسين بن علي المازندراني والذي حول الحج من مكة إلى مزارات بهائية في إسرائيل، واختلق شريعة من أفكاره تحارب كل الأديان، دعا إلى السلام العالمي ووحدة الأديان وكلها دعاوى مزعومة.(انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د.غالب بن علي عواجي، 519/1-520، ط3، دار البينة للنشر، مصر، 1418هـ-1997م).

(2) القاديانية: إحدى الفرق الباطنية الخبيثة والتي احتضنها الاحتلال الإنجليزي في الهند؛ لنصرة مطامعهم فيها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، تغلغلت في نفوس المسلمين على حين غفلة منهم، تزعمها غلام أحمد القادياني والذي زعم أنه نبي مرسل وألف كتباً زعم أنها وحي من السماء فيها نبوءات غيبية، من أهم عقائدها التناسخ والحلول والتشبيه.(انظر: فرق معاصرة تنتسب للإسلام، 602/2-605).

(3) انظر: شبهات التغريب، 4-6.

(4) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، 195.

(5) واقع المسلمين أمراض وعلاج، د. عدنان رضا النحوي، 248، ط2، دار النحوي للنشر والتوزيع، السعودية، 1416هـ- 1995م.

(6) السابق، 250-251.

(7) انظر: أجنحة المكر، 754.

وذلك من ناحيتين:

الأولى- تقويض ما يقوم به الدعاة من جهود البناء والتربية للجيل، سواء فكرياً أم سلوكياً، الأمر الذي قد ينعكس سلباً على بعض الدعاة من حيث خلق حالة من الإحباط واليأس، خاصة إذا نجحت جهود الغزاة فكرياً وانحسرت الدعوة الإسلامية.

الثانية- إن وسائل الغزو الفكري تستهدف حتى الدعاة أنفسهم وذلك عبر الأساليب المباشرة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر توفير المنح الدراسية لطلبة العلم في الدول الغربية النصرانية، وهذا ما يعرضهم لعملية غسيل الدماغ ومن ثم التساقط كما حدث مع الشيخ رفاعة الطهطاوي، كما سيتم توضيحه.

المطلب الثالث- الأنظمة الحاكمة:

إن الواجب على الأنظمة الحاكمة في البلاد الإسلامية، أن تعطي الشباب المسلم والدعاة الحرية في نشر الدعوة الإسلامية، والاهتمام بالتعليم الإسلامي في المدارس والجامعات[1]، لكن الذي يحصل هو العكس تماماً، فمعظم الأنظمة الحاكمة في بلادنا اليوم، تكون عوناً للأعداء على أبناء الحركات الإسلامية وعلى الدعاة، لعلمها التام بالخطر الذي يحدق بها جراء إحيائهم للشريعة الإسلامية، ودعوتهم لتطبيق الحكم الإسلامي في بلادهم، فهذا من شأنه زعزعة كراسي الحكام، وإعلان الثورة عليها.

فاتبعت هذه الأنظمة العديد من الوسائل الظالمة التي أدت بكثير من الدعاة، إلى الفرار من واجب الدعوة، بل أحياناً إلى محاربة الدعوة مع هؤلاء الظلمة، ومن هذه الوسائل:

أولاً- الاضطهاد والتعذيب:

مارست الأنظمة الرسمية الحاكمة مختلف وسائل التعذيب والاضطهاد الجسدي والمعنوي ضد أبناء الدعوة الإسلامية وقادة العمل الإسلامي؛ بهدف ثنيهم عن جادة الطريق، حيث تعاملت معهم بعدائية مفرطة.

يقول مصطفى الطحان: "ويواجه الداعية في كل الأحيان عقبات شديدة من الأنظمة، التي اعتبرته ظلماً وعدواناً عدوها الأول، فحاربته في رزقه وحاربته في حركته وتنقلاته، وحاربته في فكره وقلمه، وحاربته في نفسه وأهله، وأعدت الزنازين من أجله، واستوردت خبرات التعذيب النفسي

---

[1] انظر: احذروا الأساليب الحديثة، 256.

والجسدي لأجله..."[1].

لقد جهزت الحكومات الإسلامية، ومنذ زمن، المعتقلات السياسية، والسجون، لاحتواء المعارضين لها من إسلاميين وغيرهم، فهي لا تؤمن بحرية الرأي، ولا الحرية الفكرية في الصحافة ووسائل الإعلام، ولكنها لو علمت ما في يد هؤلاء من قوة فكرية وعلمية، لتكاتفت الجهود في بناء الأمة وإعادة نهضتها.

وكان من نتائج الاضطهاد على الحركات الإسلامية، أن انتشرت الشيوعية، والتي لم تجد لها مكاناً في بلادنا إلا عندما انحسر عمل الحركات الإسلامية، وكان من النتائج الشعور بالكبت الذي أصاب العديد من الدعاة والشباب المسلم، بسبب هذا الاضطهاد المستمر عليه، فأنتج هذا الكبت الحركات الإسلامية المتشددة والتي يعاني منها الصف الإسلامي حتى يومنا هذا.[2]

بالإضافة إلى ترك كثير من الدعاة الدعوة إلى الله رغبة في السلامة من بطش الحكام، وإلى جانب ذلك نرى التطرف والغلو من جماعات إسلامية أخرى بسبب هذا الاضطهاد، مما أدى إلى ضربها من قبل الحكومات بحجة الحرب على الإرهاب.

ثانياً- محاصرة الحركات الإسلامية مالياً:

بينما تحصل المؤسسات التبشيرية والاستشراقية على الدعم المالي من كل حدب وصوب، فإن الحركات الإسلامية تعاني من قلة الموارد المالية، حتى إنها تقف موقف المستجدي من أيدي المحسنين.

يقول الأستاذ عبد الرحمن الميداني: "نجد المؤسسات الإسلامية التي تحاول أن تقف في صف الدفاع عن الإسلام والمسلمين، والدعوة الصادقة إلى صراط الله، كما نجد الباحثين الإسلاميين الذين نذروا حياتهم لنشر الإسلام والدفاع عنه وعن الأمة الإسلامية الكبرى، في حالة يرثى لها من معاناة الفقر المدقع، والحرمان الشديد، وحجب الخبرات الفنية، والمعلومات الضرورية عنهم"[3].

وهذا قد يدفع بعض الدعاة للتولي عن واجب الدعوة، والتخلي عنها لأجل السعي وراء المال لتحصيله، أو لأنه نقم على دعوته لفقره وعازته، فيبدأ بضرب الدعوة ورجالاتها انتقاماً لحاله.

---

[1] نظرات في واقع الدعوة،70.

[2] انظر: احذروا الأساليب الحديثة، 254.

[3] أجنحة المكر، 485.

ثالثاً– التعاون مع الغزو الفكري:

لقد حرص الاحتلال والغزو العسكري قبل خروجه من البلاد الإسلامية، على تنصيب الحكام والقادة والزعامات العلمانية في هذه البلاد، والتي تضمن له تحقيق مصالحه فيها حتى بعد خروجه منها، وحصل ذلك بالفعل، فكانت تلك القيادات عوناً للغزاة فكرياً، على أبناء أمتهم، فسهلوا عمليات التبشير والاستشراق، وحرصوا على تنمية حركة التغريب، واستيراد الفكر الغربي بسلبياته إلى بلادهم الإسلامية، مما كان فيه الخطر الكبير على أبناء المسلمين ودعاتهم.

فهذه التبعية هي تبعية أنظمتنا الحاكمة للغرب الأوروبي، والتي تتجلى في كافة مناحي الحياة، فاستجلاب الخبراء الأجانب في كافة المجالات(العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية)[1]، مع وجود الكفاءات الإسلامية، يولد القهر لدى الشباب المسلم، ثم تحكم هؤلاء القلة من الخبراء الغرب في السياسة الداخلية للدول، ونظم تعليمها وفرض المناهج التربوية الغربية على أبناء المسلمين، كل ذلك من شأنه أن يترك الأثر السلبي على الجيل الجديد من المسلمين.

تلك كانت أهم الأسباب التي تؤدي إلى تساقط الدعاة والسائرين على طريق الدعوة، فهي فردية تتعلق بالفرد ومقاومته للمحن واجتماعية تتعلق بمن حوله من أشخاص في البيت والعمل، والأخرى خارجية، يبذل فيها أعداء الإسلام الغالي والنفيس لتشويه معالم الإسلام، وتخريب الجيل الجديد من أبناء المسلمين، وهذه الأسباب إما أن تقعد الدعاة عن دعوتهم بالكلية أو أنها تؤثر على فكرهم الإسلامي فتشوهه، وتخرب ملامحه في أذهانهم، وقد تؤدي أحياناً لانسلاخهم عن الإسلام بالكلية.

---

[1] انظر: التبعية والاستعباد المعاصر، فتحي علي الفاضلي، 161-164، ط1، دون دار النشر، 1410هـ - 1990م.

الفصل الثاني
ظاهرة التساقط أشكالها وأصنافها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول- أشكال ظاهرة التساقط.

المبحث الثاني- أصناف ظاهرة التساقط.

المبحث الثالث- نماذج للتساقط عبر التاريخ الإسلامي.

المبحث الأول

أشكال ظاهرة التساقط

وفيه مطلبين:

المطلب الأول–التساقط على مستوى الأفراد.

المطلب الثاني– التساقط على مستوى الجماعات.

المبحث الأول

أشكال ظاهرة التساقط

تنطلق الدعوة الإسلامية في الساحة الإسلامية إما من خلال الأفراد أو الجماعات، بغية إصلاح الفرد وإقامة الدولة الإسلامية، وكلٌ يسعى بكافة الوسائل إلى تعميق الفكر الإسلامي في المجتمعات والدول الإسلامية.

ولكن قد يحدث أن يخالف الفرد أو الجماعة لوازم الدعوة وطرقها الصحيحة، فيحيد عن المنهج القرآني والنبوي في الدعوة إلى الله، فيزل عن الطريق.

قال تعالى: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**(الأنعام:153)، حيث ينهى سبحانه في هذه الآيات عن التفرق والاختلاف، ولا يكون ذلك إلا باتباع الرأي والهوى ومخالفة الجماعة، فهذه سبل الشيطان، فمن يقف على طريق منها حادت به عن الصراط المستقيم.[1]

وهو ما أظهر لدينا شكلين من التساقط، التساقط على مستوى الأفراد والآخر على مستوى الجماعات.

المطلب الأول- التساقط على مستوى الأفراد:

يجب أن يتحلى الداعية بصفات ومظاهر في سيره على طريق الدعوة، وهي الرغبة في العمل من أجل إقامة دولة إسلامية تحتكم لشرع الله وتحكم به، وأن يقطع الصلة بينه وبين أعداء الله ومن يواليهم، وأن تجتمع فيه صفات بعينها، منها الجهاد في سبيل الله[2]، وأن يكون مؤهلاً تأهيلاً علمياً وفكرياً مناسباً مع التربية الإيمانية القرآنية، قال تعالى: **{فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}**(التوبة:122).[3]

ولما كانت تلك الصفات من شأنها حماية الداعية من الزلل، ومده بالقوة لمواجهة الضغوط المحيطة التي قد تثنيه عن أداء واجبه، فإن فقدان أيٍّ منها يؤدي إلى تساقطه إما عقائدياً أو فكرياً أو سلوكياً.

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير، 365/3.

[2] انظر: جند الله ثقافةً وأخلاقاً، سعيد حوى، 32، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1412هـ-1992م.

[3] انظر: حقائق عن الفكر الإسلامي، د.عبد اللطيف فرفور، 71، ط1، دار المكتبي، دمشق، سوريا، 1423هـ-2002م.

فمن الناس من يعبد الله على حرف كما ذكر القرآن الكريم، تجده ينبهر بالظواهر، ويتمتع بالنفعية المادية، فإذا زالت هذه وتلك انقلب على وجهه، فخسر الدنيا والآخرة، قال تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}**(الحج:11).

فهذا المذكور ربط الأمور الدنيوية بالأمور الأخروية، فربط عبادته بالنفع الدنيوي، فإذا زال النفع الدنيوي أعرض عن العبادة وانقلب على وجهه، فخسر الدنيا ونفعها وخسر الآخرة؛ لأنه لم يعمل لها[1]، وهذا ينطبق على كل من دخل ميدان الدعوة لأغراض دنيوية وانبهاراً بالمظاهر، فإذا زالت انقلب على عقبيه وتساقط.

يقول الميداني: "قد أثبتت التجارب الإنسانية أن الانتماءات العاطفية أو النفعية أو القائمة على الانبهار بالظواهر، أو الإعجاب ببعض الأشكال والصور، قابلة للتحول والتغير والارتداد بسرعة، بخلاف الانتماءات القائمة على قاعدة إيمانية راسخة ثابتة، ذات عناصر فكرية حق"[2].

وقد يتساقط الفرد وهو جزء من جماعة أو حركة إسلامية، وقد يكون مستقلاً، والأخير معرضٌ للتساقط بشكل أكبر وأوسع فالجماعة حامية للفرد بطبعها، فقد يظن الفرد أنه على حق في كثير من الأمور، ومن ثم يعجب برأيه، وهو يحسب أنه على صواب فيعرض الإسلام الذي فهمه هو على أنه الإسلام الحق.

يقول د.عبد اللطيف فرفور: "ويخطئ كثير من الدعاة إلى الإسلام يوم يعرضون الإسلام الذي فهموه على أنه هو الإسلام الحق وهم يتنكرون لأمتهم العربية المسلمة ولنبيهم وصحابة نبيهم..."[3].

لذا لابد للفرد أن ينكر ذاته في طريق الدعوة، ولابد له من التضحية بالمال والنفس والجهد والوقت، وهذا كله يوصله للعمل الجماعي القادر على تحقيق أهداف الدعوة المرجوة.[4]

---

[1] انظر: التحرير والتنوير، 212/17.

[2] ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، 34/1، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1414هـ-1993م.

[3] حقائق عن الفكر الإسلامي، 82.

[4] انظر: دروس في العمل الإسلامي، 32.

المطلب الثاني- التساقط على مستوى الجماعات:

إن الأصل في المسلمين أن يكونوا جماعة واحدة وحزباً مسلماً واحداً في العالم كله، فإن تعذر ذلك فيجب أن يكون تواجد الجماعات المختلفة تواجداً مبنياً على التكامل والتنوع الذي يثري الساحة الإسلامية.

"لكن منذ سقوط الخلافة الإسلامية حتى الآن لم يستطع المؤمنون بالإسلام أن يشكلوا جماعة واحدة لها قيادة واحدة في القطر الواحد، فضلاً عن أن تكون لهم جماعة واحدة في عامة الأقطار، ولذلك نجد في القطر تجمعات على أساس التصوف ، وتجمعات تقوم على أساس العلم، وتجمعات تقوم على أساس عمل الخير، وتجمعات تقوم على أسس فكرية أو سياسية خاصة"[1].

وأما عن حالهم في هذه الكثرة هو التفرق والتشرذم، وزعم كل جماعة أنها على الحق، والتنكر لما عند غيرها من الخير بل وأحيانا رد عملها بالكامل، ووظفت الدعوة لنصرة فلان وعلان وما عادت لنصرة الحق المجرد، وللاستعمار العالمي دور كبير في هذا.[2]

لذا ما نلبث أن نسمع عن نشأة جماعة إسلامية جديدة، لكنها لا تنضبط بالضوابط المطلوبة لنصرة الحق المجرد مما يؤدي إلى تهافتها وتساقطها عن الصف الإسلامي والذي كان لابد أن يكون كالبنيان المرصوص لقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}**(الصف:4)، فاتباع كل جماعة للهوى والرغبة الشخصية البعيدة عن الهدف الحقيقي للدعوة، يؤدي إلى التساقط والهلاك، فعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثَلاثٌ مُهلِكَات: هَوىً متَّبع، وشُحٌّ مُطاع، وإِعْجابُ المَرءِ بِنَفسِهِ، وثَلاثٌ مُنجيات: خَشْيةُ اللّهِ تعالى في السّرّ والعَلانية، والعَدلُ في الرِّضا والغَضَب، والقَصد في الفقر والغِنى)**[3].

وفي المجمل فإن تناحر الجماعات الإسلامية يؤدي لتساقط بعض منها؛ لعدم وضوح الرؤية وغياب الهدف الرئيس للدعوة الإسلامية، أو استخدام أساليب خاطئة في الدعوة، يقول تعالى: **{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**(الأنفال:46).

---

[1] دروس في العمل الإسلامي، 17.

[2] انظر: حقائق عن الفكر الإسلامي، 83، دروس في العمل الإسلامي، 22.

[3] السلسلة الصحيحة، رقم(1802)، 412/4، قال الشيخ الألباني: الحديث بمجموع طرقه حسن على أقل الدرجات إن شاء الله.

وكان من الواجب على الجماعات الإسلامية حتى تظل صامدة على طريق الحق، تقبل ما عند غيرها من الحق وترك السلبيات، واللجوء إلى الحوار الدائم بينها، للانطلاق من الأمور المتفق عليها والتعاون فيما بينها على الدعوة وتطبيق الأحكام الإسلامية بطريقة وسطية متوازنة.[1]

وتساقط الجماعات إما أن يكون عقائدياً أو فكرياً –كما سيتم بيانه في الصفحات القادمة عند الحديث عن التساقط الفكري والعقائدي– ومما يجب بيانه أنه وحتى الجماعة الإسلامية التي تحمل صفات حزب الله الحق، يحصل في صفوفها انشقاقات وانهيارات لبعض صفوفها، فتتكون جماعة أخرى من أفرادها على منهجية أخرى مختلفة عن منهجية الجماعة الأم.

يقول سعيد حوى: "إن حزب الله لا يمكن أن يكون كله على درجة واحدة، **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}**(المجادلة:11)، ولذلك فشيء عادي أن يكون بعض الناس مرشحين لإعطاء الرأي في شؤون، وآخرون مرشحين لإعطاء الرأي في شؤون أخرى"[2].

ولكن هذا قد لا يعجب البعض فيظن أنه مستبعد من العمل في الجماعة فينشق عن الجماعة ساخطاً عليها، وأحيانا محرضاً على العمل ضدها.

وهناك صورة أخرى للتساقط الجماعي والذي قد يقف من ورائه أعداء الإسلام، حيث تندس فئة معينة داخل الصف مع ما لها من عناصر التأثير ثم ترتد على أعقابها؛ بغية إخراج أعداد من أبناء الجماعة المسلمة المقصودة بهذا اللون من الاستهداف، وهو ما ذكره القرآن الكريم في وصف ممارسات اليهود ضد جماعة المسلمين في عهد الرسول ﷺ، قال تعالى: **{وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**(آل عمران:72)، **يقول ابن كثير**: "هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمرهم"[3].

وللجماعة الإسلامية الحق صفات يضمن توافرها التقليل من ظاهرة التساقط بين صفوفها، منها ما يتعلق بالقيادة والأخرى تتعلق بالأفراد وهي مستقاة من سنة رسول الله صلى عليه وسلم وصحابته الكرام.

---

[1] انظر: جند الله، 45.

[2] دروس في العمل الإسلامي، 128.

[3] تفسير ابن كثير، 69/2.

المبحث الثاني

أصناف ظاهرة التساقط

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول– التساقط العقائدي.

المطلب الثاني– التساقط الفكري.

المطلب الثالث– التساقط السلوكي.

المبحث الثاني

أصـناف ظاهرة التســاقط

إن الدعوة الإسلامية واضحة المعالم، وتحقيق أهدافها مطلب لكل من يعمل في ساحة العمل الإسلامي، ومن المفترض أن تكون هذه الأهداف ثابتة وواضحة لكل من يعمل على طريق الدعوة، ولكن الذي حصل هو الانحراف عن هذه الأهداف أو عن الوسائل والأساليب المتبعة، بغية تحقيقها.

وهناك تفاوت في مدى هذا الانحراف، الذي يؤدي بدوره إلى التساقط، انحراف عن مصادر التلقي الأساسية والذي يؤدي إلى التساقط العقدي ونشأة الفرق، وهو الأخطر؛ لأنه يؤدي في معظم الأحيان إلى الخروج من الملة، وتعصب مذهبي وجمود يؤدي إلى التساقط الفكري، وقلة زاد روحي وعلمي يؤدي إلى تساقط سلوكي، لذا ينبغي التحذير منه يعمل في دائرة الدعوة والعمل الإسلامي.

وهذه الأصناف الثلاثة هو ما سيتم الحديث عنه في المطالب الآتية:

المطلب الأول– التساقط العقدي:

إن العقيدة بكل ما تحتويه من مفاهيم وقواعد وأصول تعد من أهم الأسس التي يقوم عليها إيمان الفرد، وثبات هذا الإيمان أمام كل التحديات والفتن التي تجابهه، لذا لابد أن تكون سليمة نقية من كل الشوائب، وهذا يكون من خلال تحديد مفهوم العقيدة والمعالم العقدية للأمة، والالتزام بها دون ميل عنها.

أولاً– مفهوم العقيدة:

1– العقيدة لغةً:

العقيدة في اللغة من مادة عقد، ومدار هذه اللفظة على الإحكام والإبرام، والعُقْدَةُ: ما يمسك الحبل ويوثقه، وعَقَدْتُ اليمين وعَقَّدْتُهَا بالتشديد توكيد، وعُقْدَةُ النكاح وغيره إحكامه وإبرامه، والعَقِيدَةُ ما يدين الإنسان به، وله عَقِيدَةٌ حسنة سالمة من الشكِّ.[1]

---

[1] انظر: لسان العرب، 4/ 3031، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، 218، دون رقم طبعة، المكتبة العصرية، دون تاريخ.

2- العقيدة اصطلاحاً:

تباينت كلمة العلماء في تعريف العقيدة[1]، وكلها متقاربة تدور حول المعاني اللغوية للمصطلح، وقد عرفها الجرجاني بأنها: "ما يقصد بها الاعتقاد نفسه دون العمل"[2] ،وقد عرف السفاريني الاعتقاد بأنه حكم الذهن الجازم، فإن كان مطابقاً للواقع فهو صحيح، وإلا فهو فاسد"[3]، والعقائد في الإسلام هي: "الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك"[4]، وأصول العقائد حددها حديث جبريل والذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، **وفيه أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِه، وَكُتُبِه، وَرُسُلِه، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِه وَشَرِّه)**[5]، وهي ما سنذكره في المعالم العقدية التالية.

ثانياً- المعالم العقدية للأمة:

للعقيدة الإسلامية معالم محددة، لابد لكل فرد أو جماعة إسلامية أن تلتزم بهذه المعالم ولا تحيد عنها، وأي خلل في تصور إحداها يعتبر انحرافاً عن العقيدة الإسلامية الحق، ويوقع في التساقط العقدي والذي هو أخطر أنواع التساقط، والمعالم العقدية بشكل عام هي[6]:

1- الإيمان بالله تعالى على الوجه الذي جاء في الكتاب والسنة المطهرة بلا تشبيه ولا تعطيل توحيداً وتنزيهاً كاملين.

2- الإيمان بالنبوات والرسالات السماوية وبرسالة نبينا محمد ﷺ، وآله وصحبه الخاتمة، وأن شريعته ناسخة للشرائع الأخرى إلى يوم الدين.

3- الإيمان بالملائكة وباليوم الآخر والقضاء والقدر على الوجه الذي جاء في الكتاب والسنة.

---

(1) للوقوف على مزيد من التعريفات انظر: شرح أصول العقيدة الإسلامية، د.نسيم شحدة ياسين، 3، ط5، دون دار نشر، غزة، فلسطين، 1429هـ-2008م.

(2) التعريفات، 196.

(3) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني، 60/1، ط2، مؤسسة الخافقين، دمشق، سوريا، 1402هـ-1982م.

(4) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان أشقر، 82، ط5، دار النفائس، الأردن، 1416هـ-1996م.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم(102)، 28/1.

(6) انظر: حقائق عن الفكر الإسلامي، 16، بتصرف.

4- موالاة مَن أمر الله بموالاتهم عموماً.

5- الجهاد في سبيل الله ضد الحربيين من الكفار حتى يخضعوا لحكم الله ورسوله.

6- إقامة الحاكمية لله عز وجل في الأرض على الوجه الذي ارتضاه لنا سبحانه وتعالى وأمر به.

ومن النصوص القرآنية التي تحدد هذه المعالم والأصول الاعتقادية قوله تعالى: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}**(البقرة:285)، وقوله تعالى: **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}**(سورة القمر:49)، وقوله تعالى: **{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}**(البقرة:177).

لذلك فإن أي انحراف في هذه المعالم عن النهج الإلهي، يؤدي بصاحب هذا الانحراف إلى التساقط بل والخروج من ملة الإسلام، ويحصل ذلك عندما ينحرف الإنسان أولاً عن مصادر التلقي الأصيلة، الكتاب والسنة النبوية، وجعل العقل تابعاً للشرع وليس العكس، مما أدى إلى حصول الاختلافات العقدية في الأمة وفرقتها.[1]

ثالثاً- أمثلة على التساقط العقدي:

"إن العقيدة في الإسلام وحدة متشابكة مترابطة، إذا هدم أصل من أصولها خرج صاحبها من دائرة الإسلام"[2]، فليس بالضرورة أن تهدم كل أصولها حتى يخرج هادمها من الإسلام، فإن آمن بالله تعالى ولم يؤمن بالأنبياء عليهم السلام أو أيٍّ من أصول العقيدة الإسلامية فقد خرج من الملة، قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}**(النساء:150-151).

وأي رد لنصوص الكتاب والسنة، بدعوى تقديم العقل على النقل يعد خروجاً عن المنهج القويم في الإسلام، لذلك تساقط العديد من دعاة المسلمين عبر التاريخ الإسلامي، واختلطت عندهم أمور العقيدة، وكونوا بهذه الأفكار المختلطة منهجاً وفرقاً مستقلة عن جماعة المسلمين الأصيلة، ومنها:

---

(1) انظر: نحو ثقافة إسلامية، 37-38.

(2) السابق، 88.

1- المعتزلة[1]:

لقد وضع المعتزلة العقل في المرتبة الأولى في استدلالهم على مسائل الاعتقاد، فضلوا وأضلوا، ونصبوه حكماً في معرفة المحكم والمتشابه، فقد ردوا النصوص الصريحة المحكمة في قدرة الله تعالى على خلقه، وأن ما شاء لم يكن، بما تشابه عندهم من قوله تعالى: **{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}**(الكهف:49)، وقوله تعالى: **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}**(فصلت:46)، وذلك بعدما أخرجوا تلك النصوص المحكمة إلى قسم المتشابه بما استخرجوه منها من تأويلات وتحريفات، كما أنهم ردوا النصوص المحكمة في إثبات الشفاعة لعصاة الموحدين وخروجهم من النار بما تشابه عندهم من قوله تعالى: **{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}**(المدثر:48)، **وقوله: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**(البقرة:81)[2].

وقد كان لهم خبط واضطراب في توحيد الله عز وجل، فقد نفوا ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال والجلال؛ خوفاً من التشبيه والتمثيل فوقعوا في التعطيل، واستبدلوا الصفات الثابتة بصفات يتنزه الله عن الاتصاف بها، وزعموا أنها هي الحق وأنها هي التوحيد وهو في الحقيقة إلحاد يؤدي إلى إنكار وجود الله تعالى، فهي مبنية على النفي والتجريد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.[3]

لقد لبس عليهم الشيطان وخلطوا الأمور، وأكثروا التخبط في مسائل العقيدة والمسائل الغيبية، والتي لا سبيل لمعرفتها إلا ما ثبت في الكتاب والسنة، لا العقل المجرد، وما كانت مواقفهم تلك من المسائل إلا تأثراً بكتب فلاسفة اليونان التي لا تدخل بلداً إلا أفسدته.[4]

---

[1] المعتزلة: فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري، بزعامة واصل بن عطاء، لما اعتزل مجلس الحسن البصري عند اختلافه معه في مسألة مرتكب الكبيرة، وقد تفرقت إلى فرق كثيرة إلا أنه يجمعهم إطار عام وهو الاعتقاد بالأصول الخمسة، التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وافترقت المعتزلة إلى فرق كثيرة وصلت إلى عشرين ومنها فرق انتسبت إلى الإسلام وهي ليست منه. (انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفراييني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 24، دون رقم طبعة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1416هـ-1995م، فرق معاصرة، 2/1017-1019).

[2] انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، 2/295، دون رقم طبعة، دار الجيل، بيروت، 1973م.

[3] انظر: فرق معاصرة، 2/1026-1027.

[4] انظر: السابق، 1030-1031، نحو ثقافة إسلامية، 86-87.

2- فلاسفة الإسلام[1]:

حمل هؤلاء الفلاسفة الكثير من الأفكار الغريبة على الفكر والعقيدة الإسلامية، وحاولوا إقحام قضايا الفلسفة اليونانية على العقيدة، واعتبروا الفلسفة من الأمور الواجب تعلمها فهي تثبت مسائل العقيدة، ولكن الحقيقة أن الفلسفة تعتمد في تصوراتها على الآراء العقلية البشرية القاصرة، كما تعتمد على مصطلحات غامضة وقضايا ذهنية مجردة صعبة الفهم.[2]

لقد رفض الفلاسفة الاحتكام إلى الشرع، وضلوا في مسائل العقيدة، ولزم من أقوالهم لوازم فاسدة منها: القول بقدم العالم، وإنكار الصفات الثبوتية لله تعالى ووصفه بالسلوب المحض، ولهذا قالوا: الواحد لا يصدر عنه إلا واحد[3]، ومن اللوازم الفاسدة إنكار علم الله تعالى بالجزئيات، فهو يعلم الكليات فقط لأن الجزئيات في تجدد وتغير ولو علمها الله للزمه التجدد والتغير، وهذا تكذيب لصريح القرآن وصحيح العقل[4]، يقول تعالى: **{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}**(الأنعام:59)، ويقول: **{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}**(المؤمنون:92).

كما فسدت عقيدتهم في النبوات، فليست النبوة عندهم هبة من الله تعالى بل هي أمر مكتسب تستعد له النفوس بالرياضة والمجاهدة[5]، كما "أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين"[6]، وفي ذلك قمة التساقط العقدي، وإذا كان أهل الكلام من المعتزلة قد ضلوا فيما أحدثوه من خلط في أمور العقيدة، فإن الفلاسفة قد أمعنوا في ضلالهم حيث أخذوا من كتب

---

[1] هم أول من حاولوا التوفيق بين الفلسفة والدين من المسلمين، وذلك لاهتمامهم بكتب الفلسفة اليونانية وخصوصاً فلسفة أرسطو، فقد فتنوا بها إلى حد الإيمان بها أكثر من الإيمان بدينهم، وعلى رأس هؤلاء الفلاسفة الكندي وتبعه الفارابي وابن سينا وغيرهما. (انظر: جوانب من الفلسفة اليونانية والإسلامية، د.صالح الرقب، 57-58، ط1، دون دار نشر، 1423هـ-2003م).

[2] انظر: السابق، 56، نحو ثقافة إسلامية، 86-87.

[3] انظر: الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، 214، دون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

[4] انظر: تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، 45، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ-2001م.

[5] انظر: الرد على المنطقيين، 277.

[6] تلبيس إبليس، 45.

فلاسفة اليونان، وساروا على دربهم في الإلحاد.

لقد رفض المسلمون الفلسفة اليونانية، ليس لمجرد اشتغال الأمم الكافرة بها، فليس كل ما اشتغلت به تلك الأمم نرفضه، بل لما لزمته من لوازم باطلة وفاسدة ولأسباب أخرى شرعية وعقلية.[1]

يقول الإمام ابن الجوزي: " وقد لبس إبليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم، فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة... وقد حكى لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع، ويدفعون الشرائع، ويعتقدونها نواميس وحيلاً، فصدقوا فيما حكي لهم عنهم ورفضوا شعار الدين، وأهملوا الصلوات، ولابسوا المحذورات، واستهانوا بحدود الشرع، وخلعوا ربقة الإسلام".[2]

المطلب الثاني– التساقط الفكري:

أولاً– التعريف بالفكر:

1– الفكر لغةً:

فكُر في الشيء يفكِر فِكراً تأمل فيه، ومثله فكر فيه، والفكر إجهاد الخاطر في الشيء[3]، يعني أن التفكير هو التأمل وإعمال العقل في الأمور لاستيضاحها، وهذا سيظهر في تعريفنا للفكر اصطلاحاً.

2– الفكر اصطلاحاً:

الفكر هو: " ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول"[4]، أو هو "ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً"[5]، أو هو "إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى

---

(1) انظر: جوانب من الفلسفة، 68–72.

(2) تلبس إبليس، 46.

(3) وانظر: لسان العرب، 3451/5، و دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، 358/7، دون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

(4) التعريفات، 217.

(5) المصباح المنير، 284.

معرفة مجهول"[1].

ثانياً– الفكر الإسلامي:

"الفكر والتفكير من طبائع الإنسان ومزاياه التي يمتاز بها عن كثير من المخلوقات، وينشأ الفكر من تفاعل العقل الإنساني مع البيئة المحيطة، بما فيها من أشياء...، والفكر الإنساني كأي جهد بشري معرض للصواب والخطأ، وقد يضل طريقه، وقد يصيب هدفه، واحتمالات الخطأ أكثر من احتمالات الصواب، لأن الإنسان بطبعه ضعيف يعتريه النسيان وقد يخضع لأنواع الشهوات والأهواء والمغريات"[2].

لذلك كان لابد له من مرشد في فكره كي لا يضل فيه، وكان الإسلام حامياً للفكر الإنساني من الزلل على مر التاريخ منذ بعثة سيدنا محمد ﷺ، وتكوّن ما يسمى الفكر الإسلامي، ويمكن أن نعرفه بأنه: "مجموعة الشروح التي علقت على التشريع الإسلامي في نصوصه ومقولاته، ممزوجة بذلك التشريع امتزاج الفرع بأصله، غير منفكة عنه بحيث تمثل فهم جمهرة علماء المسلمين لهذا التشريع مع أدلتهم"[3]، فهو الفكر الذي أتى نتيجة تفاعل المسلمين عبر العصور مع الإسلام؛ كالفقه، وعلم أصول الفقه، وعلم أصول الحديث، وعلم أصول الدين، وعلم الأخلاق، وعلم التربية، وعلم التفسير.

ولكن من المسلمين من حادوا عن الفكر الإسلامي، فجنحوا بفكرهم عن طريق الصواب، وهذا هو التساقط الفكري، والذي يعتري فكر الإنسان أو الجماعة الإسلامية، فتضل هدفها المنشود.

فظهرت في التاريخ الإسلامي نحل وفرق أكثرها منحرف ضال بين إفراط وتفريط، أو غلو وانحلال، حتى كادت تختفي معالم الفكر الإسلامي الوسط، لذا لابد للفكر أن يكون مصدره الإسلام الحنيف فقط دون غيره، بنصوصه وشروحه وبمفاهيمه[4].

---

[1] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات ومجموعة، تحقيق مجمع اللغة العربية، 698/2، دون رقم طبعة، دار الدعوة للنشر، دون تاريخ.

[2] دراسات في الفكر العربي الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني ومجموعة، 10، ط7، دار الفكر، عمان، الأردن، 1418هـ–1997م.

[3] حقائق عن الفكر الإسلامي، 81.

[4] انظر: السابق، 32–33، 81.

ثالثاً- أمثلة على التساقط الفكري:

1- دعاة تحرير المرأة:

لقد انتهج بعض الدعاة منهج التجديد في الفكر الإسلامي؛ مواكبة للعصر الحديث وما يحصل فيه من تغيرات، لكن الذي حصل هو خلط بين مفهوم التجديد المعاصر والمفهوم الإسلامي الأصيل، فأثار ذلك ارتباكاً في الدعوة الإسلامية المعاصرة، والتجديد المعاصر في الاصطلاح الفكري الحضاري الأوروبي الجديد، يعني تطويع الدين بما يتلاءم مع الواقع الجديد للإنسان، وتقريب دلالته بما يتناسب مع النزوع والهوى الإنساني، وإعادة صياغة معالم الدين، وربما أصوله وثوابته الكبرى، وهذا ما لا يتوافق مع المفهوم الإسلامي للتجديد.[1]

فالتجديد في الفكر والدين يقوم على ثلاثة أسس:

أ- إحياء ما انطمس من معالم السنن ونشرها بين الناس، وحملهم على العمل بها.

ب- قمع البدع والمحدثات، وتنقية الإسلام مما علق عليه من شوائب، والعودة به لما كان عليه زمن النبي ﷺ.

ت- تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من وقائع وأحداث، وفهمها فهماً موضوعياً علمياً على ضوء المستجدات في عصرنا، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي.[2]

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فيما أعلم عن رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: **(إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)**[3]، وفي عون المعبود قوله:"(من يجدد) مفعول يبعث (لها) أي لهذه الأمة (دينها)، أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم... ومعنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما"[4].

لكن ما يحصل أحياناً من بعض العاملين في الدعوة محاولة التجديد في الدين دون ضوابط

---

[1] انظر: جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان، 174، ط1، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام، بريطانيا، 1412هـ-1991م.

[2] انظر: التجديد في الفكر الإسلامي، د.عدنان محمد أمامة، 16-18، ط1، دار ابن الجوزي، 1424هـ.

[3] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة، رقم(4291)، 512/2. قال أبو داود: عبد الرحمن بن شريح لم يجز به شراحيل. قال الألباني: السند صحيح، رجاله ثقات.(انظر: السلسلة الصحيحة، 148/2).

[4] عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة، رقم(4291)، 260/11، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ.

وقواعد تحكم هذا التجديد، فنجده في النهاية تساقط مخلفاً وراءه ديناً جديداً بعيداً عن الدين الحق.

من أهم القضايا التي تخبط فيها بعض دعاة التجديد هي قضية المرأة، ودعوى تحريرها مما يقع عليها من ظلم في بعض المجتمعات، لكنهم ضلوا الطريق بعد أن حرروها من الضوابط الشرعية الأصيلة.

فظهرت وقتها الشعارات الخداعة، والتي انبهرت بها المرأة والرجل على حد سواء، مثل تحرير المرأة، حقوق المرأة، والتي كانت وليدة الاستعمار الغربي والتغريب، الذي كان من أهدافه تخريب الفكر الإسلامي النقي، فوقع هنا الضرر الكبير لمّا جعلت المرأة الأوروبية-بوضعها الحالي وسلوكها وقيمها- أنموذجاً حضارياً يحتذى به، أدى بعدها إلى عملية التغريب الكبرى للمرأة المسلمة.[1]

وكان مما ساعد هذه الأفكار على الرسوخ في الفكر الجديد للأمة؛ أنها بدأت ضئيلة وخفية، صدرت عن مصلحين تربوا تربية علمية إسلامية، فأعطيت بعض الشرعية، لكنها اتسعت عندما تسلم الراية من لم يتأسس دينياً، فاتسع الانحراف يوماً بعد يوم، مما صعب من علاجه.[2]

قد بدأ هذا الفكر في الظهور عند ابتعاث الشيخ رفاعة الطهطاوي إلى باريس، وانبهاره بما رأى من عادات وتقاليد غربية، وخاصة موضوع الاختلاط بين الرجال والنساء، فبذر بذرة تحرير المرأة والتي أخذت في التوسع على يد قاسم أمين[3]، الذي عاد هو الآخر من باريس إلى مصر، يحمل معه فكرته الجديدة والتي سطرها في كتابيه "تحرير المرأة" والذي يرى البعض أنه من تأليف أستاذه محمد عبده؛ لأنه امتلأ بالمناقشات للأقوال الفقهية والأدلة الشرعية، والتي كان قاسم قليل البضاعة منها، وكتابه الثاني "المرأة الجديدة"، والذي أكد فيه على تلك الأفكار الإصلاحية المجددة في الفكر الإسلامي العام وفكر المرأة خاصة، وذلك من وجهة نظره.[4]

وكان ممن حمل هذا اللواء هدى شعراوي، فكان لها باع في نشر الأفكار المنحلة الخاصة بقضايا المرأة، فاحتضنتها دوائر الماسونية والتغريب واليهودية العالمية.[5]

---

[1] انظر: جذور الانحراف، 124، التجديد في الفكر، 541.

[2] انظر: جذور الانحراف، 124-125.

[3] انظر: التجديد في الفكر، 541.

[4] انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، د.سيد بن حسين العفاني، 1/91-92، ط1، دار ماجد عسيري، السعودية، 1424هـ-2004م.

[5] انظر: السابق، 1/93.

وكانت خلاصة أفكار المجددين في هذا المجال، الثورة على الحجاب والتشكيك في مشروعيته، وحمل المرأة المسلمة على تقليد المرأة الغربية في كل أمورها، والدعوة إلى الاختلاط وطرح المبررات لها، والدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة في كل الجوانب في الحقوق والعمل والشهادة والميراث، وتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات.[1]

وهذا هو التجديد في الفكر الذي نادى به دعاة التحرير، وهو تجديد منحل من الضوابط الشرعية والذي لا يحمل أي عودة بالناس لدينهم الأصيل، ولكنها محاولة لخلع ربقة الإسلام من عنق المسلمين، وهدم للبقية الباقية منه.

2- التكفير والهجرة[2]:

إن التسلط والإرهاب الفكري الذي يقع فيه -أحياناً- بعض العاملين للإسلام، عندما يغيب عن ساحة العمل البعد الإيماني وما يقتضيه من خفض الجناح ولين الجانب، يؤدي إلى لون من التشرذم والذي قد يؤدي بدوره إلى التساقط بسبب هذا الانحراف في الفكر.

إن هناك "من الدعاة الجهلة من ينفر الناس من الإسلام بسوء تصورهم وتصويرهم له"[3]، فهو يرى أنه المسلم الوحيد، أو أن جماعته هي الجماعة الوحيدة التي تمتثل لأحكام الإسلام، وأن غيره من الناس ليس مسلماً، فهو يعيش على الحق المحض وغيره يعيش على الباطل المحض، وهذا قمة التعسف الفكري والذي يؤدي إلى تساقط هذا الفرد أو هذه الجماعة.

وهذا منبعه الغلو في الدين، والذي سبق الحديث عنه[4]، والذي حذرنا منه تعالى عندما عاب على أهل الكتاب غلوهم في دينهم، قال تعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}**(المائدة:77).

---

[1] انظر: أعلام وأقزام،1/91-93.

[2] جماعة التكفير والهجرة امتداد لفكر الخوارج القديم، أطلقوا على أنفسهم جماعة المسلمين ظناً منهم أنهم على الحق المطلق دون غيرهم، أسسها شكري مصطفى، والذي نمت أفكاره خلال فترة حبسه في الزنازين المصرية منذ عام 1965م إلى العام 1971م، واعتبر نفسه مصلح الأمة ومهديها المنتظر، وبايعه أتباعه أميراً للمؤمنين وقائداً لجماعة المسلمين، أعدم سنة1978م بتهمة اغتيال الدكتور محمد الذهبي وزير الأوقاف وقتها، ولقد عد بعض أهل الاختصاص جماعة التكفير والهجرة على أنها فرقة؛ وذلك لانحرافها العقدي، وإن نشأ ذلك عن انحرافها الفكري أولاً.(انظر: الفرق القديمة والمعاصرة في التاريخ الإسلامي، د.محمد حسن بخيت، 399-400، ط2، مكتبة آفاق، غزة، فلسطين، 1424هـ-2003م.)

[3] تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، 49، ط5، دار الشروق، مصر، 1424هـ-2003م.

[4] انظر: صفحة 21 من البحث.

ومثال هذا الغلو جماعة التكفير والهجرة، فقد انحرفت هذه الجماعة بفكرها عن المسار الصحيح للدين، وكان السبب الرئيسي في ذلك قلة زاد أفراد هذه الجماعة من فقه الإسلام وأصوله، وبعدما وقع عليهم الاضطهاد من الحكومات، وانتشار موجة من الكفر العارم في أوساط البلاد الإسلامية دون حراك من الأئمة والوعاظ لمعالجة هذه الحالة؛ لذا خرج الفكر التكفيري ليصبغ معالم فكر هذه الجماعة.[1]

إن حقيقة منهج جماعة التكفير والهجرة قائم على الثقة والاعتزاز بالنفس، الأمر الذي أدى بهم إلى الزعم بإمكانية التلقي من القرآن مباشرة دون الاستعانة بآراء علماء المسلمين، مع التقليل من قيمة فهم العلماء للأحاديث النبوية، ورد أقوال وتفسيرات العلماء في شتى أمور الدين واعتبارها من اللغو الذي لا فائدة منه، بالإضافة إلى رد أقوال الصحابة الكرام التي نقلها فقهاء ومحدثي الأمة؛ زاعمين أنها تحول بين الفهم الحقيقي للقرآن الكريم، فانطبق عليهم قول المصطفى ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ فَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ أَوْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ...)**[2].[3]

لقد بنى أفراد الجماعة فكرهم على مجموعة من الأفكار والمبادئ التي تتلاقى مع الفكر الخارجي، والذي يدور حول كون الإسلام جملة من الأحكام والفرائض والذي يقصر أو يترك إحداها لا يعتبر مسلماً ويخرج من دائرة الإسلام، وتتوالى أفكارهم على هذا المبدأ المحفوف بالغلو والتسلط حتى يصل بهم إلى تكفير المجتمع المسلم بأسره، لأنهم لم يشهدوا منه تطبيقاً كاملاً للأحكام الإسلامية[4].

إن هذه الأفكار لا زالت تنمو في الأوساط الإسلامية اليوم، فنجد خروج بعض الجماعات الجديدة التي تنسب نفسها إلى الإسلام، تقوم بالعمليات العسكرية في البلاد الإسلامية، ادعاءً منها أن هذه المجتمعات كلها خارجة عن الإسلام ويتساوى في نظرهم العاصي والطائع، وهذا يشوه صورة الإسلام والمسلمين، ويجر على الأمة الإسلامية الويلات من قبل أعدائها.

---

[1] انظر: الفرق القديمة والمعاصرة، 400-401.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفتهم، رقم(2503)، 112/3.

[3] انظر: الفرق القديمة والمعاصرة، 435-436.

[4] انظر: السابق، 405-415.

المطلب الثالث– التساقط السلوكي:

أولاً– تعريف السلوك:

1– السلوك لغةً:

السلوك مصدر سلك، وسلك المكان به وفيه دخله، والمسلك الطريق، والسَّلْكُ إدخالُ شيء تَسْلُكه فيه.[1]

2– السلوك اصطلاحاً:

"والسلوك هو سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال فلان حسن السلوك أو سيء السلوك، وفي علم النفس السلوك هو الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقف يواجهه"[2].

أو هو "كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد ظاهرة كانت أم غير ظاهرة"[3].

إذن فالسلوك هو طريقة الإنسان في تعامله مع المواقف، وهي إما طريقة صحيحة أو طريقة سيئة، وبالنسبة للإنسان المسلم فإن طريقته في مواجهة المواقف يجب أن تكون موافقةً لما جاء في الكتاب والسنة، يقول تعالى: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}**(الأحزاب:21)، وإذا كان المسلم العادي مطالبٌ بذلك فإن الأولى بهذا الالتزام هو الداعية.

ثانياً– سلوك الداعية بين الاستقامة والانحراف:

"الدعاة إلى الله هم أول من يتمسك بهذا المنهج– منهج الكتاب والسنة في الأخلاق–، بل هم أوجب من غيرهم في القيام على تنفيذه وتطبيقه لكون طبيعة الرسالة التي يبلغونها تتطلب منهم الخلطة والاجتماع، وتحملهم أمانة التبليغ والدعوة، فإن لم يكونوا على المستوى اللائق من الخلق الفاضل والصفات الحميدة، فالناس لا يقبلون دعوتهم، ولا ينجذبون إليهم بل ينفرون منهم وينفضّون عنهم، وربما تصل الأمور إلى ردود الفعل، وانحرافات في السلوك"[4].

فأخلاق الداعية هي التي تؤثر في سلوكه، "فالخلق صفة مستقرة في النفس ذات آثار في

---

[1] انظر: المعجم الوسيط، 445/1، لسان العرب، 2073/3.

[2] المعجم الوسيط، 445/1.

[3] تعديل السلوك الإنساني، أ.د.جمال الخطيب، 17، ط1، مكتبة الفلاح ودار الحنين، 1423هـ–2003م.

[4] سلسلة مدرسة الدعاة، 240/1، دون رقم طبعة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دون تاريخ.

سلوك الفرد والمجتمع قد تكون محمودة أو مذمومة"[1].

فلابد له من التحلي بأفضلها كالصدق، ويكون مع الله تعالى بإخلاص العبودية له، ومع الناس بصدق الدعوة والتزام العهد، ومع الدعوة بمتابعة التبليغ، ومع النفس بملازمة الإخلاص وتجديد الإيمان، وغيرها من الصفات كالأمانة والحلم والتواضع والكرم، فتلك الأصول الخلقية في تكوين الداعية، والتي من شأنها أن تجعل له بالغ الأثر في الهداية والإصلاح والتغيير.[2]

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا)**[3].

لكن" الواقع أن بعض المنتسبين إلى الدين ينفّرون منه بما يلاحظ عليهم من انحلال وهبوط، والتدين الفاسد عدوان مضاعف على الدين الحق"[4]، فقد تجد بعض الدعاة قد يتحدث عن الإسلام وقضاياه وشئون المسلمين، ومشاكل الأمة الإسلامية بكلامٍ جيد، لكن حين ننظر في سلوك هذا الداعية، لا نجد سلوك الإسلام كاملاً متمكناً فيه، فنجده يتهاون في أداء بعض العبادات، ويهمل بعض الأحكام الشرعية، ويتساهل في بعض الأوامر.

وإن هذه الأمور قد تقع من أي مسلم، وقد يعلم أنها معصية لله تعالى أو لا يعلم، لكن وقوعها من داعية يدعو إلى الله تعالى، لا يقبل منه؛ لأن الناس يقتدون به في مثل هذا الأمر، ويعتبرون أن ما يفعله حجة لهم في التساهل في هذه الأمور، ومن المعروف أن الناس إذا وجدوا أن العالم أو الداعية يقع في أمر، فإنهم يلتمسون في ذلك العذر ويتوسعون فيه، فجمهور الناس يفرحون بخطأ هذا الداعية أو العالم ليقتدوا به، ولا يعتبرونه خطأً يلومونه عليه.

إن مقام الدعوة ينبغي أن يكون فيه الداعية على قدر كبير من الانضباط السلوكي، وإن انحرافه السلوكي يساهم في هدم الإسلام، ويشوه صورته في نظر العامة، كما أن هذا الداعية نفسه يسقط من نظر الناس أيضاً، والتمسك بالعلم الشرعي وبالمنهج الرباني يعصم الإنسان من هذا التساقط وضياع العلم يؤدي إلى انتشار الانحراف بأنواعه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

---

[1] نضرة النعيم، 64/1.

[2] انظر: سلسلة مدرسة الدعاة، 241/1-252.

[3] أخرجه الترمذي في سننه، الجامع االصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم(1162)، 454/2. قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح.

[4] تراثنا الفكري، 89.

رضي الله عنهما قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**)[1].

وفي ضوء ما تقدم يمكن إجمال أهم صور التساقط السلوكي في النقاط الآتية:

1- فيما يتعلق بالعبادات:

وصورته التهاون في العبادات المفروضة وترك النوافل منها، كما وتتمثل في عدم الإخلاص فيها لله تعالى، واحتساب أعماله الدنيوية لغيره تعالى، وقد قال عز وجل: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**(الذاريات:56)، فكانت الغاية الأولى من خلق الإنسان عبادة الله تعالى وحده، والالتزام بما شرع من عبادات هو أول الطريق في إظهار كمال العبودية لله تعالى وحده، وإن أولى الناس بهذا الالتزام هم الدعاة.

فالأمانة الملقاة عليهم ثقيلة، لا يعينهم عليها وعلى تحمل ضغوط الدعوة إلا هذا الزاد من العبادات المفروضة، صلاة وصيام ونوافل، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا* نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا* إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا}**(المزمل:1-5)[2]، لكننا نجد منهم من يقصر في هذه العبادات ويتهاون في أداء بعضها كالزكاة، وأداء صلاة الجماعة، والتراخي عن فريضة الحج مع توفر الاستطاعة، ومنهم من يتظاهر بكثرة النوافل والأذكار حتى إذا كان في منزله وبين أهله تركها وتهاون فيها.[3]

والمسلم الحق هو من يؤدي هذه العبادات على أكمل وجه ويحتسب كل عمله على أنه عبادة لله تعالى، مادامت نيته فيه خالصة لوجه الله تعالى، فالأكل والشرب والزواج والعمل عبادة إذا كان قاصداً فيه التقوي على طاعة الله أو جلب النفع للإسلام والمسلمين[4]، يقول تعالى: **{وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}**(آل عمران:145).

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان، رقم(6971)، 60/8.

[2] انظر: طريق الدعوة، 580.

[3] انظر: ظاهرة النفاق، 89.

[4] انظر: طريق الدعوة، 406.

2- فيما يتعلق بالمعاملات المالية:

الإسلام يحض على الرزق الحلال، ولا يرضى أن يكون المسلم عالة على غيره، وفي نفس الوقت ينهى عن التعاملات غير المشروعة في المال، كالربا والرشوة والخداع والغش في التجارة، قال تعالى: **{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}**(البقرة:276)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: **(لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ)**[1]، وهذه المخالفات قد يقع فيها الداعية تحت ضغوط معينة في العمل والمنزل، فيلجأ لأخذ القروض الربوية، ويسهل عليه بعد ذلك السقوط في شرك المخالفات الأخرى، يقول تعالى: **{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}**(التغابن:15).

يقول ابن كثير في تفسيره للآية: "يقول تعالى مخبرًا عن الأزواج والأولاد، إن منهم من هو عدو الزوج والوالد، بمعنى أنه يتلهى به عن العمل الصالح، كقوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**(المنافقون:9)؛ ولهذا قال هاهنا: **{فاحذروهم}** قال ابن زيد: يعني على دينكم"[2].

ومن الأخطاء السلوكية التي قد تحصل من بعض الدعاة، استغلاله لمكانته الدينية وثقة الناس فيه، فيدير تجارة وصفقات وهمية؛ لأكل أموال الناس بالباطل، أو يغش في تجارته رغبة في الكسب الزيادة[3]، وهو بذلك يخون الأمانة الموكلة عليه ويكون حسابه من الله مضاعفاً؛ لعلمه بفداحة هذه المخالفات، يقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**(الأنفال:27).

يقول أحمد فائز: "إن النفس إذا لم تتجرد لله، لم تتحرر أبداً من ضغط القيم والأوضاع والضرورات والمصالح والحرص والشح، ولم ترتفع أبداً على المصالح والمغانم والمطامع والمطامح، ولم تستشعر أبداً تلك الطلاقة والكرامة والاستعلاء التي يحسها القلب المملوء بالله أمام القيم والأوضاع وأمام الأشخاص والأحداث"[4].

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم، رقم(1337)، 16/3، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[2] تفسير ابن كثير، 139/8.

[3] انظر: ظاهرة النفاق، 102.

[4] طريق الدعوة في ظلال القرآن، أحمد فائز، 257، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405هـ-1984م.

3- فيما يتعلق بالمظهر والسلوك العام:

لقد اهتم الإسلام بمظهر الإنسان المسلم، وأمر المسلمين بأن يكونوا على قدر عالٍ من النظافة والترتيب، يقول تعالى: **{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ*قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**(الأعراف:31-32)، ولكنه في الوقت نفسه طلب الالتزام بما أمر الشرع في هذا المظهر رجالاً ونساءً، وأولى الناس بهذا الالتزام هو الداعي إلى الله أو الداعية، لكننا نجد منهم من يحلق اللحية ويجر ثوبه خيلاء وهذا منهي عنه فعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ)**[1]، كما نجد منهم من يشرب الدخان، ويصافح النساء ولا يمانع في مجالس الاختلاط.

وصورة أخرى من صور هذا التساقط، وهي أن تجد الداعية يحسن معاملة الناس بينما يسيء معاملة الأهل والزوجة والأبناء، مع أن الخيرية في الإنسان نابعة من خيريته في أهله، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ)**[2].

يقول المباركفوري في شرحه للحديث: " قوله (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ) أي لعياله وذوي رحمه وقيل لأزواجه وأقاربه وذلك لدلالته على حسن الخلق (وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) فأنا خيركم مطلقاً وكان أحسن الناس عشرة لهم وكان على خلق عظيم (لِأَهْلِي وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُم) أي واحد منكم ومن جملة أهاليكم (فَدَعُوهُ) أي اتركوا ذكر مساويه فإن تركه من محاسن الأخلاق، دلهم ﷺ على المجاملة وحسن المعاملة مع الأحياء والأموات"[3].

لابد للفرد المسلم والداعية بالأخص أن ينضبط في حياته وحركاته وسكناته مع شرع الله تعالى، والتعبد إلى الله بكل هذه الأعمال، مخلصاً له، فلا يكتفي بأداء الفرائض الأربعة دون أن

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺلو كنت متخذاً خليلاً، رقم(3665)، 6/5.

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، رقم(3895)، 188/6-189، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

[3] تحفة الأحوذي، كتاب أبواب المناقب، باب في فضل أزواج الرسول ﷺ، رقم(3895)، 395/10.

يحتسب باقي أعماله على أنها عبادات خالصة لله تعالى من التزام بالمظهر الإسلامي الصحيح ومعاملة حسنة للأهل والزوجة والأولاد دون إفراط أو تفريط.[1]

4- فيما يتعلق بأمراض القلوب:

يقول الأستاذ عبد الرحمن الميداني: "تصدر عن القلب النيات والمقاصد من الأعمال، وقد تكون النيات والمقاصد موافقة لظواهر السلوك، وقد لا تكون، وحقيقة المحاسبة عند الله تعالى تكون على ما في القلب من نيات ومقاصد من وراء الأعمال، فالكسب الحقيقي للإنسان مصدره دائرة قلبه"[2].

فمن الدعاة من تظهر عليه المظاهر الإسلامية المنضبطة من إعفاء للحيته وتقصير لثوبه ومجافاة للبدع المظهرية، والتزام بالسنة النبوية، لكنك تجد في قلبه من الأمراض ما يحتاج إلى كثير مراجعة وإصلاح، فأمراض القلوب تنحرف بصاحبها عن الغاية، وهي أشد خطراً من أمراض الأجساد؛ فهي تفسد النية وتحبط العمل.[3]

فتراه يمشي بالغيبة والنميمة بين الناس، ولا يتوانى عن التشهير فيهم، بل ويمشي في الإفساد بينهم لا الإصلاح، وتراه يجرح بالمخالفين له في الرأي الاجتهادي من علماء المسلمين، وينسى قوله تعالى: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}**(الحجرات:12).

أو أنك تجد منهم من يحمل في قلبه من الحقد والغضب واختزان العداوة والحسد لغيره من الدعاة السابقين والعلماء الشيء الكثير؛ لما يرى من التفاف الناس حولهم ومحبتهم لهم، وهو ما يجب أن يترفع عنه الداعية أكثر من غيره؛ فهو يدعو إلى الله تعالى، ولا يدعو لنفسه أو لأغراضه الشخصية، ولا يهمه الشهرة والسمعة، إنما يهمه إعلاء كلمة الله تعالى.

---

[1] انظر: طريق الدعوة، 333.

[2] الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، 279/1، ط5، دار القلم، دمشق، سوريا، 1420هـ-1999م.

[3] انظر: طريق الدعوة، 156.

يقول مصطفى مشهور: "ولنعلم أن أمراض القلوب موجودة عند كل إنسان، ولكن المؤمن يقاومها دائماً، ويقهرها في نفسه بقوة إيمانه وتقواه ومراقبته لربه، وبتجديد النية وإيثار ما عند الله على كل أعراض الدنيا مستيقناً أن ما عند الله خير وأبقى...يقول تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**(الروم:69)"[1].

[1] طريق الدعوة، 156.

المبحث الثالث

نماذج للتساقط عبر التاريخ الإسلامي

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول– نماذج لظاهرة التساقط من أتباع الرسل عليهم السلام.

المطلب الثاني– نماذج من عصر النبوة .

المطلب الثالث– التساقط في الواقع المعاصر.

المبحث الثالث

نماذج التساقط عبر التاريخ الإسلامي

إن ظاهرة التساقط ليست حديثة على الساحة الإسلامية ، وإنما هي قديمة قدم التاريخ، منذ أن خلق الله تعالى الإنسان، فالنفس البشرية جبلت ضعيفة، لا تقاوم نوازعها في معظم الأحيان إلا إذا خالطتها قوة الإيمان، يقول تعالى: **{وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}**(النساء:28).

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره للآية: "الضعف هو أن تستميله المغريات ولا يملك القدرة على استصحاب المكافأة على الطاعة أو الجزاء على المعصية، لأن الذي تتفتح نفسه إلى شهوة ما يستبعد غالباً خاطر العقوبة"[1].

فالإنسان في هذه الدنيا في ابتلاء واختبار مستمر، والثابت فيه من يتعرض للشهوات أياً كانت، فيصبر عليها، ولا يسقط في براثنها، والتساقط حدث لبعض أتباع الرسل قبل سيدنا محمد ﷺ، كما حدث في عصر النبوة، وكما يحصل في الوقت الحاضر أيضاً، فمن هؤلاء من تساقط تساقطاً كلياًّ، دون الرجوع إلى جادة الحق، ومنهم من لم تسول له نفسه البقاء في الغي، فسارع للعودة للحق والصواب.

وفيما يلي عرض لبعض هذه النماذج، عبر الأزمنة المختلفة من لدن آدم عليه السلام حتى وقتنا الحاضر، مجموعة في ثلاثة مطالب وهي كما يأتي:

المطلب الأول- نماذج للتساقط من أتباع الرسل:

إن كون النبي مرسل من ربه ومصطفى على عباده، لا يعني بالضرورة أن أتباعه من ذريته وإخوته أو أصحابه على طريق الهدى والفلاح نفسه من حيث العصمة والتمسك بالحق، فهم في النهاية بشر قد يحصل لهم من الغواية ما يحصل لغيرهم، مع كونهم ملازمين للأنبياء والرسل ومقربين عندهم، وفيما يلي نماذج لبعض أتباع الرسل الذين حصلت لهم الغواية، ولكن منهم من هدى الله ومنهم من ظل على ضلاله، ولم يتبع الهدى الذي جاء به نبيه أو رسوله المتبع.

أولاً- قابيل ابن آدم عليه السلام:

يقول تعالى: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ**

---

[1] تفسير الشعراوي، 2138/4.

مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}(المائدة:27-31).

تقدم الآيات الكريمة، نموذجاً من نماذج التساقط البشري السلوكي بسبب الحسد والحقد، مقابل التقوى والصلاح والثبات عليهما، نموذجان يهمنا فيهما الأول، والذي نؤكد فيه ضعف النفس البشرية أمام مرض من أمراض القلوب وهو الحسد لأصحاب الصلاح والتقوى، وهو ما ظهر في حسد قابيل لأخيه هابيل ومن ثم قتله.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيد، قال: "نهي أن تنكح المرأة أخاها تَوْأمها، وأمر أن ينكحها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة، فبينما هم كذلك ولد له امرأة وضيئة، وولد له أخرى قبيحة دميمة، فقال أخو الدميمة: أنكحني أختك وأنكحك أختي. قال: لا أنا أحق بأختي فقربا قربانا، فتقبل من صاحب الكبش، ولم يتقبل من صاحب الزرع، فقتله"[1].

يقول سيد قطب: "هذه القصة تقدم نموذجاً لطبيعة الشر والعدوان، ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، كما تقدم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة، ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة، وتقفهما وجهاً لوجه، كل منهما يتصرف وفق طبيعته، وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشر، والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير"[2].

وقد ذكرت كتب التفسير تفاصيل القصة، من أسماء لأصحابها ومن أسباب لتقريب القرابين، ومن كيفية قبول القربان الأول ورفض الثاني[3]، وما يهمنا في هذا النموذج، بيان تساقط أحد أفرادها سلوكياً، وإقباله على جريمة نكراء وهي قتل النفس بغير حق، لذا عبرت الآيات االتالية عن بشاعة هذه الجريمة، بحيث ترقى إلى قتل الناس جميعاً، قال تعالى: **{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ}**(المائدة:32)، وكل ذلك بسبب الحقد والحسد على أخيه التقي، واعتراضاً على حكم الله

---

[1] تفسير ابن كثير، 83/3.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، 874/2، ط10، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1402هـ- 1982م.

[3] انظر: تفسير ابن كثير، 82/3.

بقبول قربان الأول دون قربانه.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **(لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)**[1]، فبيّن النبي صلى الله عليه وسلم، أن جريمة ابن آدم هذه هي الأولى في البشرية، فقد سن القتل وعليه وزر كل من قتل نفساً بغير حق بعده.

وهما قابيل وهابيل أبناء آدم لصلبه[2]، والقربان هو ما يتقرّب به المرء إلى ربّه من صدقة أو نُسك أو صلاة[3]، وذُكر أن الله تعالى تقبل من أحدهما وهو هابيل، ولم يتقبل قربان الآخر وهو قابيل[4]، والسبب الواضح من الآيات الكريمة أنه تقبل منه القربان لتقواه وصلاحه، قال تعالى على لسان من تُقبل قربانه، عندما قرر قابيل أن يقتله لعدم تقبل قربانه: **{قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}**(المائدة:27).

يقول ابن عاشور: "وقوله في الجواب **{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}**، موعظة وتعريض وتنصّل ممّا يوجب قتله، يقول: القبول فعل الله لا فعل غيره، وهو يتقبّل من المتّقي لا من غيره، يعرّض به أنّه ليس بتَقِي، ولذلك لم يتقبّل الله منه"[5].

يقول الزمخشري: "لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل، قال له إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى، لا من قبلي فلم تقتلني، ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله، التي هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع"[6].

فكان من صاحب التقوى أن وعظ أخاه أكثر من مرة، كي يلين قلبه ويرضى بحكم الله ويكون من المتقين، ولكن شدة الحسد والحقد غالبة على أخيه، فلم يستطع الصفح عنه لتقبل قربانه دونه.

فقال له هابيل ناصحاً: **{لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي**

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم(3335)، 133/4.

[2] انظر: تفسير ابن كثير، 81/3.

[3] التحرير والتنوير، 169/6.

[4] انظر: تفسير ابن كثير، 81/3-82، التحرير والتنوير، 169/6.

[5] التحرير والتنوير، 170/6.

[6] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي،658/1، دون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}(المائدة:28-29)، وفيها مدى خوف هذا الأخ من عقاب الله تعالى، وتقوى قلبه، فهو لم يكن حريصاً على قتل أخيه، حتى لو أقدم هو على ذلك[1].

يقول سيد قطب: "إذا أنت مددت يدك إلي لتقتلني، فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة بالنسبة لك، فهذا الخاطر- خاطر القتل -لا يدور بنفسي أصلاً، ولا يتجه إليه فكري إطلاقاً؛ خوفاً من الله رب العالمين، لا عجزاً عن إتيانه، وأنا تاركك تحمل إثم قتلي وتضيفه إلى إثمك الذي جعل الله لا يتقبل منك قربانك، فيكون إثمك مضاعفاً، وعذابك مضاعفاً"[2].

لكن ومع كل هذه النصائح المقدمة من الأخ التقي، أقدم قابيل على قتله، لمّا أعمى الحسد بصره وبصيرته، فتساقط أمام تقوى أخيه فقتله فكان من الخاسرين، ولمّا كان أول من قتل نفساً من بني آدم[3]، لم يعرف مواراة جثة أخيه، فهنا بدا له الندم لقتله أخاه، فأصبح عندها من النادمين، يقول تعالى: **{فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}**(المائدة:31).

يقول ابن عاشور: "أي ندم على ما اقترف من قتل أخيه، إذْ رأى الغراب يحتفل بإكرام أخيه الميّت ورأى نفسه تجترئ على قتل أخيه، وما إسراعه إلى تقليد الغراب في دفن أخيه إلاّ مبدأ النّدامة وحُبِّ الكرامة لأخيه، ويحتمل أن هذا النّدم لم يكن ناشئاً عن خوف عذاب الله ولا قصد توبة، فلذلك لم ينفعه"[4].

ذلك أنموذج من نماذج أتباع الرسل، والذي لم يكن قرب المتساقط فيها من النبي آدم عليه السلام، رادعاً له من ارتكاب الجريمة، فنفسه كانت مريضة وقلبه سقيماً بالحسد والحقد على أخيه المؤمن التقي، فأودى به هذا الحسد للتساقط والانسلاخ عن الشريعة الربانية، والأحكام الإلهية، فكان من الخاسرين.

ثانياً- بلعام بن باعوراء:

يقول تعالى: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ**

---

[1] انظر: التحرير والتنوير، 170/6-171.
[2] في ظلال القرآن، 876/2.
[3] انظر: الكشاف، 660/1.
[4] التحرير والتنوير، 174/6.

الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ}(الأعراف:175–177).

اختلفت الروايات فيمن نزلت فيه هذه الآيات الكريمة، فجاء في رواية الحاكم في مستدركه على الصحيحين،عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، (فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا}** [الأعراف: 175] قَالَ: هُوَ بَلْعَمُ بْنُ بَاعُورَاءَ)[1].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال نزلت هذه الآية في أمية بن أبى السلط[2] الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها[3].

وعن نافع بن عاصم بن مسعود قال: (إني لفي حلقة فيها عبد اللّه بن عمرو ﷺ فقرأ رجل من القوم الآية التي في الأعراف **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا}** قال: تدرون من هو؟ قال أحدهم: هو صيفي بن الراهب. وقال الآخر: هو بلعم رجل من بني إسرائيل. قال: لا. قالوا: فمن هو؟ قال: هو أمية بن أبي الصلت)[4].

وقال ابن حجر العسقلاني: "وروى بن مردوية بإسناد قوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: في قوله تعالى: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا}** قال: نزلت في أمية بن أبي الصلت وروى من أوجه أخرى أنها نزلت في بلعام الإسرائيلي وهو المشهور"[5].

---

[1] أخرجه الحاكم في مستدركه، المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري،باب تفسير سورة الأعراف،حديث رقم(3216)،325/2،دون رقم طبعة،دار المعرفة، بيروت،لبنان،دون تاريخ.

[2] جاءت في بعض الروايات بالسين وفي بعضها بالصاد.

[3] قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، 58/13، دون رقم طبعة، مكتبة القدسي،1414هـ–1994م)، لم أعثر عليه في المعجم الكبير للطبراني.

[4] إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، كتاب التفسير، باب سورة الأعراف، رقم(5709)، 68/7، ط1، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1420هـ–1999م، قال: رواه النسائي في الكبرى من طريق يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم، ورواته ثقات.

[5] فتح الباري، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله أيام الجاهلية، رقم(3628)، 154/7.

وسواء كان بلعم أم بلعام، أم أمية بن أبي الصلت، فإن المهم عندنا أحداث هذا النموذج الذي ضربه الله لنا مثلاً، لمن كان العلم والصلاح لباسه، ثم انسلخ من هذا اللباس كما ينسلخ الحيوان من جلده، وساء ذلك مثلاً.

يقول سيد قطب: "ترد بعض الروايات بأنها وقعت في تاريخ بني إسرائيل، ولكن الأرجح أنها نموذج غير مقيد بزمان ولا مكان، إنما هو تصوير لحالة مكرورة في النفوس والتاريخ، كلما أوتي بعض الناس نصيباً من العلم كان خليقاً أن يقوده إلى الحق والهدى، فإذا هو ينسلخ مما أوتي من العلم، فلا ينتفع به شيئاً، ويسير في طريق الضلالة كمن لم يؤتوا من العلم شيئاً، بل يصير أنكد وأضل وأشقى بهذا العلم الذي لم تخالطه بشاشة الإيمان، الذي يحوّل هذا العلم إلى مشكاة هادية في ظلام الطريق"[1].

وفي هذه الآيات يعرض سبحانه وتعالى، حال من أعطاه الله الحكمة والعلم، وعرف الحق وكان متأكداً منه، ثم ولأسباب دنيوية بحتة، أعرض عنه وترك الآيات المبصرات وركن إلى الأرض، فاستحب العمى على الهدى، ونقض العهد مع الله تعالى، وانسلخ من لباس الهدى الواقي له من الانحدار.[2]

جاء في تفسير المنار: "هو مثل من آتاه الله آياته فكان عالماً بها حافظاً لقواعدها وأحكامها، قادراً على بيانها والجدل بها، ولكنه لم يؤت العمل مع العلم، بل كان عمله مخالفاً لعلمه تمام المخالفة، فسلبها؛ لأن العلم الذي لا يعمل به لا يلبث أن يزول، فأشبه الحية التي تنسلخ من جلدها وتخرج منه وتتركه على الأرض (ويسمى هذا الجلد المسلاخ) أو كان في التباين بين علمه وعمله كالمنسلخ من العلم التارك له، كالثوب الخلق يلقيه صاحبه"[3].

وهذا معناه أن الانسلاخ لا يشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه، وأن حب الدنيا تكون سبباً لانهيار وتساقط العالم، فلا يغتر ذو علم بعلمه، فمن ينسلخ من الآيات يتبعه الشيطان ويدركه، ويوقعه في المهالك، وتسوء خاتمته.[4]

---

[1] في ظلال القرآن، 1391/3.

[2] انظر: السابق، 1396/3.

[3] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، 340/9، دون رقم طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.

[4] انظر: تفسير آيات من القرآن الكريم، محمد بن عبد الوهاب التميمي، حققه محمد بلتاجي، 111/1، دون رقم طبعة، الناشر جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، دون تاريخ.

"فترتب على انسلاخه منها باختياره أن لحقه الشيطان، فأدركه وتمكن من الوسوسة له، إذ لم يبق لديه من نور العلم والبصيرة ما يحول دون قبول وسوسته، وأعقب ذلك أن صار من الغاوين، أي الفاسدين المفسدين "[1]

وحب الدنيا واتباع الهوى من الأسباب التي ذكرناها سابقاً في أسباب التساقط[2]، وهي من أهم الأسباب التي تحول بين المرء وإيمانه وعلمه، وتضعف عمله وتهوي به إلى التساقط، وها هو بلعام أيًّا كانت ملابسات قصته، جرى وراء الدنيا واغتر بها فكان مثله كمثل الكلب وهو يلهث، فذلك مثل من جرى وراء الدنيا يظل لاهثاً وراء ملذات الدنيا في كل حال.

يقول الإمام ابن القيم: "فشبه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه ودنياه على آخرته والمخلوق على الخالق، بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدراً و أخبثها نفساً، وهمته لا تتعدى بطنه وأشدها شرهاً وحرصاً، ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم ويتروح حرصاً وشرهاً...وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاها بالدنايا، والجيف المروحة أحب إليه من اللحم الطري، والقذرة أحب إليه من الحلوى...وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورئاسة، وضع له خطمه بالأرض وخضع له ولم يرفع إليه رأسه"[3].

يقول تعالى: **{سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ}**(الأعراف:177)، "وهل أسوأ من هذا المثل مثلا؟ وهل أسوأ من الانسلاخ والتعري من الهدى؟ وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى؟ وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا؟ من يعريها من الغطاء الواقي والدرع الحامي، ويدعها غرضاً للشيطان يلزمها ويركبها، ويهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض، الحائر القلق، اللاهث لهاث الكلب أبداً"[4].

إن من تساقط تساقطاً كلياً خسر الدنيا والآخرة، إن لم تكن له عودة للحق، تنجيه من مهانة الدنيا وعذاب الآخرة، والله تعالى أمر نبيه الكريم، بأن يقص هذا القصص على قومه ومن حوله من اليهود للعظة والاعتبار فهم يعلمون الحق ولكنهم يستكبرون عنه وعن اتباعه.

---

[1] تفسير المنار، 340/9.

[2] انظر: صفحة 20 من البحث.

[3] الأمثال في القرآن، أبو عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق إبراهيم بن محمد، 27/1، ط1، مكتبة الصحابة، طنطا، مصر، 1406هـ- 1986م.

[4] في ظلال القرآن، 1397/3.

المطلب الثاني– نماذج من عصر النبوة:

التساقط ظاهرة موجودة وملموسة في كل الأزمنة، حتى في عصر النبوة، وإن كانت أقل ظهوراً لوجود النبي ﷺ، بين ظهرانيهم، فهم بين يده يسارعون للاستغفار والتوبة، والرجوع إلى الحق، وهذا سيتضح أكثر في النماذج التالية:

أولاً– حاطب بن أبي بلتعة:

هو حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة، اللخمي المكي، حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي، من مشاهير المهاجرين، شهد بدراً والمشاهد[1]، وقد شهد له النبي ﷺ بالجنة.

عَنْ جَابِرٍ[2] رضي الله عنه **أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كَذَبْتَ لاَ يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ)**[3].

هذا الصحابي الجليل والذي شهد بدراً فكان من المغفور لهم –كما سنرى في رواية قصته– قد أخطأ خطأً جسيماً، وأفشى سراً من أسرار الدولة الإسلامية، والذي من شأنه أن يخرجه من الملة ويهدر دمه، لا لشيء إلا للخوف على الأهل والولد، وهو كما بينته هذه الدراسة من أن الخوف على الولد والأهل أحد أسباب التساقط[4].

وقد برر هذا الصحابي الجليل فعله، بأنه ليس خروجاً عن الملة، أو انتقالاً من الإيمان إلى الكفر، وقدم عذره بين يدي النبي صلى الله عيه وسلم، فكان شفيعاً له، كونه من أهل بدر الذين غفر الله لهم.

---

[1] سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، 43/2، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ–1993م، معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، تحقيق محمد أمين الجكني، 107/2، دون رقم طبعة، مكتبة دار البيان، الكويت، دون تاريخ. (مات سنة ثلاثين وهو ابن خمس وستين، معجم الصحابة، 107/2).

[2] هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، اختلف في شهوده بدراً وأحداً، شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، كان من المكثرين في الحديث الحافظين للسنن، آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، توفي سنة أربع وسبعين وكان عمره أربعاً وتسعين سنة.(انظر: أسد الغابة، 492/1–494)

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بدر، حديث رقم(6559)، 169/7.

[4] انظر: صفحة 24 من البحث.

لمّا تجهز النبي ﷺ لفتح مكة، وأمر الناس بالتجهز للسير، كتب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى قريش كتاباً يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ثم أعطاه لامرأة، وجعل لها أجراً على أن تبلغه إلى قريش، فجعلته في ضفائر شعرها، ثم خرجت به إلى مكة، ولكن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ بما صنع حاطب، فقضى ﷺ على هذه المحاولة، ولم يصل قريش أي خبر من أخبار تجهز المسلمين وسيرهم لفتح مكة[1].

فعن علي رضي الله عنه يَقُولُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ[2] رضي الله عنهم قَالَ: **(انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا)، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رسول الله ﷺ: (يَا حَاطِبُ مَا هَذَا)، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ. فَقَال رسول الله ﷺ: "(لَقَدْ صَدَقَكُم)، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: (إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)**[3].

وهذه الرواية تظهر لنا خطورة ما فعله الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعه، إذ أفشى سراً من أسرار الدولة الإسلامية، وكاد أن يوقع المسلمين في قبضة الكفار بفعله هذا، ولكن لمّا لم يكن

---

[1] انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، 398/3-399، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ-1994م، تفسير ابن كثير، 506/13.

[2] هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن أهود البهراوي، المعروف بالمقداد بن الأسود؛ لأنه حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه، قديم الإسلام من السابقين، كان من أول من أظهر الإسلام بمكة، هاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة، شهد بدراً وكان فارساً فيها، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، توفي سنة ثلاث وثلاثين، وكان عمره سبعين سنة.(انظر: أسد الغابة، 242/5-243، الإصابة، 133/6-134).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الجاسوس وقول الله تعالى(لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) التجسس التبحث، حديث رقم(3007)، 59/4-60.

قصد حاطبٍ الخيانة ولا الغدر، ولا الخروج عن ملة الإسلام، وأظهر توبته عن فعله فوراً، التمس له النبي ﷺ العذر، وشهد له بالفضل لكونه من أهل بدر.

وقد نزل في حاطب رضي الله عنه قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}**(الممتحنة:1).[1]

وفي هذه الآيات، يحذر الله تعالى المؤمنين من اتخاذ الكفار والمشركين المحاربين، أصدقاء وأخلاء، وهذا لما فعلوا بالرسول ﷺ والمهاجرين معه، من إخراج لهم من بلدهم، ولما كفروا من الحق، ولكن أعذر النبي ﷺ حاطباً؛ لأنه لم يفعله إلا مصانعة لأهل مكة، لأجل ما كان له عندهم من المال والولد، وليس خيانة لله والرسول والمسلمين، ولقوله تعالى: **{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِنْ دُون الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَل ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّه فِي شَيْء إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاة وَيُحَذِّركُمْ اللَّه نَفْسه}**(آل عمران:28).[2]

ويمكننا أن نصف مثل هذا التساقط، بالتساقط الجزئي، الذي ما يلبث صاحبه أن يعود للحق، ويعترف بذنبه ويتوب عنه، وفي مثل هذا السياق حصل مع الصحابي الجليل أبو لبابة [3] رضي الله عنه، إذ صدر عنه ما يشعر بالخيانة للرسول والمسلمين.

فإنه لما حاصر النبي ﷺ بني قريظة في حصونهم وأيقن بنو قريظة أنه ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم تشاوروا بينهم فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبو لبابة بن عبد المنذر، أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، لنستشيره في أمرنا، فأرسله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان، فرقّ لهم، وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟، قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح. لكنه ما لبث أن رجع حتى ربط نفسه في عمود في المسجد وعرف أنه خان الله ورسوله، ونزل فيه قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

---

[1] انظر: رواية البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ، حديث رقم(4274)، 145/5.

[2] انظر: تفسير ابن كثير، 511/13-512.

[3] وهو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل اسمه مبشر، (السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق وليد سلامة، خالد عثمان، 3/ 145، ط1، مكتبة الصفا، مصر، 1422هـ-2001م).

لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(الأنفال:27)، حتى تاب الله تعالى عليه بعد سبعة أيام من تلك الحادثة.[1]

ثانياً- المخلفين عن غزوة تبوك:

لقد جهز النبي ﷺ جيش العسرة، واستنفر المسلمين جميعاً لغزوة تبوك، وأخبرهم عن وجهته فيها على غير عادته؛ ليتجهز الناس لهذا السفر الطويل، وفي الخروج تخلف عنه ﷺ، رهط من المدينة، كان أكثرهم من المنافقين أو ذوي الأعذار مثل الشيوخ والولدان، يقول ابن القيم: "إنه لم يكن يتخلَّفُ عن رسول الله ﷺ إلا أحد رجال ثلاثة: إما مغموصٌ عليه في النفاق، أو رجلٌ من أهل الأعذار، أو من خلَّفَهُ رسولُ الله ﷺ واستعمله على المدينة، أو خَلَّفه لمصلحة"[2]، ولكن من بين هؤلاء الرهط، ثلاثة نفر من خيرة صحابة النبي ﷺ، لم يحبسهم العذر ولكن التكاسل والتهاون، فكان ذنبهم بذلك عظيماً، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.

أما كعب فهو كَعْبُ بنُ مَالِك بن عمرو بن القَيْنِ بن سَوَاد ابن غنم بن كعب بن سَلِمة بن سَعْد بن علي الأَنصاري الخزرجي السَلَمي، من أهل المدينة، شهد العقبة في قول الجميع، واختلف في شهوده بدراً، والصحيح أَنه لم يشهدها، ولم يتخلف عن رسول الله إلا في غزوة بدر وتَبُوك، أَما بدر فلم يعاتِب رسول الله فيها أَحداً، تخلَّف؛ للسرعة وأَما تبوك فتخلف عنها لشدة الحرّ، وكان من شعراءِ رسول الله ﷺ.[3]

وأما مرارة فهو مرارة بن الربيع ، وقيل : ابن ربيعة الأنصاري العَمْري ، من بني عمرو بن عوف، وقال هشام بن الكلبي : هو مُرَارة بن رِبْعِيّ ابن عَدِيّ بن زيد بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس، شهد بدراً، تخلف عن النبي ﷺ في تبوك.[4]

وهلال هو هِلاَل بن أُمَيّة بن عامر ابن قيس بن عَبْد الأعلم بن عامر بن عامر بن كعب بن واقف واسمه مالك بن امرِىء القيس بن مالك ابن الأوس الأنصاري الواقفي، شهد بدراً وأحداً، وكان قديم الإسلام، كان يكسر أصنام بني واقف، وكانت معه رايتهم يوم الفتح، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا

---

[1] انظر: السيرة النبوية، 3/ 145.

[2] زاد المعاد، 3/574-575.

[3] انظر: أسد الغابة، 4/461-462، معجم الصحابة، 5/104-105.

[4] أسد الغابة، 5/129.

عن غزوة تبوك.[1]

أما عن خبر تخلفهم فقد رواه عبد الله بن كعب عن أبيه، وجاء فيه سبب تخلفهم عن الغزو، وصدقهم القول مع النبي ﷺ، ومقاطعة المسلمين لهم حتى نزلت التوبة عليهم من الله تعالى.

يقول كعب رضي الله عنه، بعد أن ذكر خبر تجهز الناس وخروجهم من المدينة، وهمه بالذهاب أكثر من مرة حتى عادوا من الغزو، يقول: **(فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَ"، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: "مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ"، فَقُلْتُ: بَلَى إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ"، فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ قَالُوا: نَعَمْ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا قَالُوا مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ**

---

[1] انظر: أسد الغابة، 5/380-381.

فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا، ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي...)[1].

حتى إن النبي ﷺ، أمر نساءهم باعتزالهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وفي صبح الليلة الخمسين، جاء البشير يبشر بنزول توبة الله تعالى عنهم، كما يخبر كعب بذلك، يقول: **(فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ"، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟، قَالَ لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...)**[2]

ونزلت التوبة عليهم في قوله الله تعالى: **{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا**

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه مختصراً، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل (وعلى الثلاثة الذين خلفوا)، حديث رقم(4418)، 3/6.

[2] راجع الحديث السابق بطوله، 3/6-6 .

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}(التوبة:117-119).

يروي ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن أنه قال: "لما غزا رسول الله ﷺ تبوك، تخلف كعب بن مالك وهلال بن أمية وربيع بن مرارة أو مرارة بن الربيع، قال: أما أحدهم فكان له حائط حينها قد فشت فيه الحمرة والصفرة، قال: قد غزوت مع رسول الله ﷺ فلو أقمت عامي هذا في هذا الحائط فأصبت منه، فلما خرج رسول الله ﷺ وأصحابه دخل حائطه فقال: ما خلّفني عن رسول الله، وما استبق المؤمنون من الجهاد في سبيل الله إلا ضنّ بك أيها الحائط، اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت به في سبيلك،وأما الآخر، فكان قد تفرق عنه من أهله ناس واجتمعوا له، فقال: قد غزوت مع رسول الله ﷺ وغزوت، فلو أني أقمت العام في أهلي، فلما خرج رسول الله ﷺ وأصحابه قال: ما خلّفني عن رسول الله وما استبق إليه المؤمنون في الجهاد في سبيل الله إلا ضنّ بكم أيها الأهل، اللهم إن لك عليّ ألّا أرجع إلى أهلي ومالي حتى أعلم ما تقضي فيّ وأما الآخر فقال: اللهم إن لك عليّ أن تقطع نفسي أو ألحق بالقوم فأنزل الله تعالى: **{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ** إلي قوله: **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ}** الآية قال الحسن : يا سبحان الله والله ما أكلوا مالاً حراماً، ولا أصابوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض، غير أنهم قد أبطؤا في تلك الغزاة عن رسول الله ﷺ فبلغ منهم ما تسمعون"[1].

لقد ارتكب هؤلاء الصحابة الكرام ذنباً عظيماً بتوليهم عن الزحف دون عذر يغفر لهم تأخرهم عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين، سوى الركون للدنيا والمال والأهل، والتكاسل عن نصرة المسلمين، يقول ابن القيم: "إنَّ الإمام إذا استنفر الجيش، لزمهم النفيرُ، ولم يجز لأحد التخلفُ إلا بإذنه، ولا يُشترطُ في وجوب النفير تعيينُ كلِّ واحد منهم بعينه، بل متى استنفر الجيش، لزم كُلَّ واحد منهم الخروجُ معه، وهذا أحدُ المواضع الثلاثة التي يصير فيها الجهاد فرض عَيْن، والثاني- إذا حضر العدوُّ البلد، والثالث- إذا حضر بين الصفين"[2].

فكانت عقوبتهم شديدة من قبل المجتمع الإسلامي، طبقه كل فئات المجتمع الصديق والزوجة والقريب، ولكن لمّا كانت نياتهم سليمة خالية من النفاق، عامرة بالصدق نجوا من فعلهم

---

[1] أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، 1904/6، ط1، مكتبة نزار الباز، الرياض، السعودية،1417هـ-1997م،(لم أقف على حكم للرواية).

[2] زاد المعاد، 558/3.

هذا وتابوا وتاب الله عليهم، وهذا أيضاً أنموذج من نماذج التساقط الجزئي الذي يتراجع فيه صاحبه، ويسارع بالتوبة.

ويدخل في مفهوم التساقط في زمن النبي ﷺ، من لقيه وآمن به ثم ارتد، وعاد إلى إيمانه سواءً لقي النبي ﷺ بعد توبته أو لم يلقه[1]، وهذا تساقط جزئي لا يخرج الفرد من دائرة الصحبة، ومن ذلك ما حدث لعبد الله بن أبي السرح[2]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى سَرْحٍ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ فَلَحِقَ بِالْكُفَّارِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَاسْتَجَارَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَأَجَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)**[3]، وهذا مثال لمن ارتد ثم تاب ولقي النبي ﷺ بعد توبته.

ومنهم لم يلق النبي ﷺ بعد توبته مثل الأشعث بن قيس[4]، "وكان الأشعث قد ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأسر فأحضر إلى أبي بكر فأسلم فأطلقه، وزوجه أخته أم فروة...ثم شهد الأشعث اليرموك بالشام والقادسية وغيرها بالعراق وسكن الكوفة وشهد مع علي صفين وله معه أخبار "[5].

كما ويدخل في مفهوم التساقط في زمن النبوة من آمن بالنبي ﷺ ثم ارتد واستمر في ردته حتى الموت، وهذا يعد تساقطاً كلياً، ومنه ما حصل من عبيد الله بن جحش[6]، هاجر مع زوجه أم حبيبة إلى الحبشة وهناك اعتنق النصرانية ومات عليها[7]، فعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ

---

[1] انظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، 1/140-141، ط1، مطبعة سفير، الرياض، السعودية، 1422هـ.

[2] هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بالمهملة مصغرا بن حذافة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، يكنى أبا يحيى، وكان أخا عثمان من الرضاعة وكانت أمه أشعرية. (انظر: الإصابة، 76/4)

[3] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، رقم(4358)، 532/2، قال الألباني: حسن الإسناد.

[4] هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن ثور الكندي يكنى أبا محمد، كان اسمه معدي كرب وكان أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث.(انظر: الإصابة، 50/1).

[5] الإصابة، 50/1-51.

[6] هو عبيد الله بالتصغير بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي من بني أسد بن خزيمة زوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب قبل أن يرتد في الحبشة.(انظر: الإصابة، 48/8).

[7] انظر: الإصابة، 48/8.

الْعَاصِ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها: (رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ زَوْجِي بِأَسْوَإِ صُورَةٍ وَأَشْوَهِهِ فَفَزِعْتُ، فَقُلْتُ: تَغَيَّرَتْ وَاللَّهِ حَالُهُ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ حِينَ أَصْبَحَ: يَا أُمَّ حَبِيبَةَ، إِنِّي نَظَرْتُ فِي الدِّينِ فَلَمْ أَرَ دِينًا خَيْرًا مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ وَكُنْتُ قَدْ دِنْتُ بِهَا، ثُمَّ دَخَلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا خَيْرٌ لَكَ وَأَخْبَرْتُهُ بِالرُّؤْيَا الَّتِي رَأَيْتُ لَهُ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِهَا وَأَكَبَّ عَلَى الْخَمْرِ حَتَّى مَاتَ...)[1].

المطلب الثالث- التساقط في الواقع المعاصر:

أما عن التساقط في الواقع المعاصر فنجده أكثر من غيره من العصور السابقة، وذلك لبعد الناس عن المنابع الأصيلة للشريعة الإسلامية، واتخاذ غير الكتاب والسنة مرجعاً للاحتكام، بالإضافة إلى الغزو الفكري الخارجي لكل ما هو إسلامي، وتأثيرها على أنظمة الحكم الإسلامية، أضف إلى هذه الأسباب تخلف المسلمين عن ركب الحضارة وانبهارهم بحضارة الغرب، كل هذا يساعد في انتشار هذه الظاهرة بين صفوف المجتمع المسلم.

وفيما يلي نماذج لبعض الدعاة الذين تنازلوا عن مبادئهم، ودعوتهم للحق لأحد هذه الأسباب أو كلها معاً، فتساقطوا بذلك فكرياً.

أولاً- رفاعة رافع الطهطاوي:

"هو رفاعة بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع الطهطاوي، المصري، الحسيني، الشافعي عالم مشارك في أنواع من العلوم"[2].

ولد في طهطا بمديرية جرجا من صعيد مصر، وقصد القاهرة، فتعلم بالجامع الأزهر، ثم أوفد إلى أوربا، فدرس الفرنسية، وتثقف الجغرافيا والتاريخ، وعاد إلى مصر، فتولى رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، وانشأ جريدة الوقائع المصرية، وترجم كتباً كثيرة، وتوفي بالقاهرة"[3].

من آثاره الكثيرة: المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن

---

[1] أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، باب تسمية أزواج الرسول ﷺ، رقم(6855)، 20/4-21.

[2] معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، 168/4، دون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

[3] معجم المؤلفين، 168/4، وانظر: الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، 29/3، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.

الحجاز في السيرة النبوية، شرح لامية العجم، القول السديد في الاجتهاد والتقليد، والتحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية.[1]

كان الشيخ رفاعة كما يذكر مادحوه، كان رجل العلم والأخلاق العالية، والتواضع والمثابرة[2]، كما وصف بأنه إمام النهضة العلمية في مصر الحديثة، وأنه مهد الطريق لآلاف العقول والقلوب، لمتابعة النهضة الحديثة في مصر.[3]

يقول محمد قطب: "لقد كان رفاعة رافع الطهطاوي واحداً من أولئك الأئمة العظام (يقصد أئمة الناس في الصلاة ومرشدوهم إلى الأحكام الدينية في البعثات وغيرها)، أو هكذا كان يوم ذهب إلى فرنسا، ولكنه عاد وهو واحد من أئمة التغريب، استقبله أهله بالفرح يوم عاد من فرنسا بعد غيبة سنين، فأشاح عنهم في ازدراء، ووسمهم بأنهم فلاحون لا يستحقون شرف استقباله"[4].

لقد كان هذا الهدف من ابتعاث محمد علي لمجموعة من الشباب حديثي السن للتعلم في فرنسا، فأفكار محمد علي هي امتداد لأفكار الحملة الفرنسية على مصر والتي لم تنجح عسكرياً بقيادة نابليون، فنصبت في مصر من يخلفها فكرياً، وهو محمد علي باشا، وكان من أهداف هذه الحملة، تنحية الشريعة الإسلامية، وإحلال القوانين الوضعية، وإثارة النعرات الوطنية والجاهلية، لتنبثق منها إلى بقية العالم الإسلامي.[5]

لقد انتبه بعض مشايخ الأزهر لهذه الخطة الخطيرة، التي يريد أن ينفذها الغرب، والتي كانت لها أبعد الأثر في تحول المجتمع وتحلل القيم وظهور السفور والاختلاط، لكن كان من بين شيوخ الأزهر رفاعة الطهطاوي والذي كان حديث السن، فلم يكن بالوعي الكافي في التفريق بين التبعية للغرب وبين الأخذ بمقدار لخدمة الأمة وترقيتها، فأقر التغريب جملة، وبذر بذوره الأولى في مصر.[6]

وقد عبر رفاعة عن انبهاره بالحضارة الغربية وبالأخص الفرنسية، بأن ألف كتابه المشهور

---

[1] انظر: معجم المؤلفين، 168/4، الأعلام للزركلي، 29/3.

[2] الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب الحديث)، حنا الفاخوري، 73، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986م.

[3] انظر: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، 31/1، ط8، دار الفكر، لبنان، 1973م.

[4] واقعنا المعاصر، محمد قطب، 194–195.

[5] انظر السابق، 190–195، الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية، أنور الجندي، 238–239، دون رقم طبعة، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دون تاريخ.

[6] انظر: الفكر الإسلامي وسموم التغريب، 238–239.

في وصف رحلته في الابتعاث، وهو كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز، والذي كان يحمل معظم أفكاره التغريبية التي عاد بها فكان له الأثر البالغ في تغيير وجه الحياة المصرية، وحرفها عن الإسلام، في حين اعتبر بعض الكتاب أن ابتعاث الشيخ رفاعة، يعد منقبة له ولمصر، يقول عمر الدسوقي عن رفاعة وابتعاثه: "وكان من حسن حظه وحظ مصر أن طلب محمد علي إلى الشيخ العطار أن يختار له من علماء الأزهر إماماً للبعثة الأولى، يرى فيه اللياقة لتلك الوظيفة، فوقع الاختيار على الشيخ رفاعة"[1].

لقد عاد رفاعة مشبعاً بالأفكار التغريبية والتي كانت في مقدمتها، استبدال القوانين والتشريعات الإسلامية بالقوانين الوضعية الأوروبية، ومما يدلل على ذلك تكليف الخديوي إسماعيل رفاعة الطهطاوي بترجمة القانون الفرنسي الوضعي عام 1863م، للعمل به في المحاكم بعد إلغاء العمل بالشريعة الإسلامية.[2]

يقول عمر الدسوقي: "ولم تجد الحكومة خيراً من رفاعة وتلاميذه ليقوم بهذه المهمة الجليلة، فقام بهذا العمل مع بعض من نجباء خريجي مدرسة الألسن، وأخرجوه في مجلدين كبيرين"[3].

لقد عاد رفاعة من فرنسا بحظ وافر من العلوم والآداب الغربية، ومن بينها اللغة الفرنسية، وآدابها فما لبث أن عاد وفتح مدرسة الألسن، والتي طلب رفاعة من محمد علي السماح له بتأسيسها لنقل علم أوروبا لمصر[4]، وقد صرفت شيئاً فشيئاً أنظار طلاب العلم عن الأزهر الشريف وعلومه.

وقد ساهمت هذه المعاهد التي افتتحها رفاعة في ترجمة العديد من الكتب الغربية إلى العربية، وسهلت تداولها بأيدي عامة القراء، وأدخلت أول المظاهر العلمانية على التعليم، ومن ثم انتقلت إلى كافة مظاهر الحياة المصرية.[5]

ومن الأفكار التي نقلها رفاعة من الغرب، الوطنية من وجهة النظر الأوروبية، لقد بدأت فكرة الوطنية في الأدب العربي كمحاولة لجمع الناس حول المطالبة بحقوقهم، ودعوته إلى رفع الظلم والاستبداد، ولكنها تطورت على يد أصحاب الثقافة الأوروبية، وبدأت تهاجم الرابطة الدينية وتعتبرها

---

[1] في الأدب الحديث، 33/1.

[2] انظر: الفكر الإسلامي، 239، في الأدب الحديث، 43/1.

[3] في الأدب الحديث، 43/1.

[4] انظر: في الأدب الحديث، 1/ 34،37.

[5] انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، 194.

مصدر شر وتفرقة بين أبناء الجنس الواحد، ونجد في كتابات رفاعة تلك النزعة الوطنية، والذي تتلمذ على يديه العديد من الشعراء، الذين كان لهم السبق في ترديد كلمات الوطن والوطنية في أشعارهم، والتغني بها في المحافل والمواسم من أمثال صالح مجدي.[1]

أما عن رفاعة والمرأة فقد ظهرت في كتاباته بذور فكرة تحريرها، ليس من الجهل وفتح الطريق أمامها للتعلم، مساواة لها بالرجل، بل إن الفكر التحرري الذي حمله رفاعة من الغرب يتعدى ذلك إلى التخلي عن قيم الإسلام وآدابه، فهو يشيد بالرقص ومنه الباليه ولا يرى فيه ضيراً مع الرجال، يقول: "هذا الرقص نط مخصوص لا يُشتمّ منه رائحة العهر، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها"[2].

وأما عن عفة المرأة فغير مرتبط بتكشفها وتسترها، بل منبعه التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره، يقول الطهطاوي: "إن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء، لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره"[3].

وقد طلب في كتابه المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، أن تكون المرأة على قدم المساواة من الرجل، مما يؤهلها بعد لمشاركته في كل الأعمال بحسب قوتها ونشاطها، مما يبعدها عن الأباطيل وافتعال الأقاويل يقول: "ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معاً...ليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى الأشغال والأعمال، مما يتعاطاه الرجال، على قدر طاقتها وقوتها، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، حيث إن فراغ أيديهن عن العمل، يُشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل، فالعمل إذا يصون المرأة عما لا يليق بها، ويقربها من الفضيلة"[4].

وبعد فهذا هو رفاعة الطهطاوي الذي يراه الكثير رائداً من رواد النهضة، بل يرونه رائد التنوير في العصر الحديث[5]، لقد كان رفاعة رائداً للفكر التغريبي الأوروبي، حيث بذر بذور

---

[1] انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د.محمد محمد حسين، 78/1، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1402هـ1982م.

[2] تخليص الإبريز في تلخيص باريز، رفاعة الطهطاوي، 213/2، دون رقم طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، التنوير، مصر، 1993م.

[3] السابق، 391/3.

[4] انظر: في الأدب الحديث، 43/1-44، نقلاً عن المرشد الأمين للطهطاوي.

[5] مثاله كتاب رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، د.محمد عمارة، ط1، دار المستقبل العربي، 1984م.(والذي يشيد فيه بدور رفاعة في نهضة مصر في أصعدة مختلفة).

العلمانية في الحياة المصرية والتي انتقلت تدريجياً للعالم الإسلامي.

ثانياً- الشيخ محمد سيد طنطاوي:

شيخ الأزهر الشريف، وُلد الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي بقرية سليم الشرقية مركز طما محافظة سوهاج سنة 1928م، تلقى تعليمه الأساسي بقريته وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة 1944م، وبعد انتهاء دراسته الثانوية التحق بكلية أصول الدين وتخرج منها سنة 1958م، ثم حصل على تخصص التدريس سنة 1959م، ثم حصل على الدكتوراه في التفسير والحديث بتقدير ممتاز سنة 1966م، عُين مدرسا بكلية أصول الدين سنة 1968م، ثم عميداً لكلية أصول الدين بأسيوط سنة 1976م، ثم عميدا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين سنة 1985م، ثم مفتياً لجمهورية مصر العربية سنة 1986م، ثم عُين شيخاً للأزهر الشريف سنة 1996م.[1]

من مؤلفاته: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القصة في القرآن الكريم، معاملات البنوك وأحكامها الشرعية، وقد توفى في 10 مارس 2010م[2].

منصب الإفتاء ثم منصب مشيخة الأزهر من أعظم المناصب مسؤولية على صاحبها، ويتوقف عليها كثير من قضايا المسلمين ومستجدات العصر التي تحتاج إلى فتاوى أمينة، متوافقة مع الشرع منضبطة مع ضوابطه، وهذان المنصبان كانا من نصيب الشيخ سيد الطنطاوي في مصر لمدة طويلة، الأمر الذي يرفع من قدر الأمانة الملقاة على عاتق الشيخ الطنطاوي، إذ ينبغي أن يكون أميناً في فتواه ومواقفه السياسية، لكن هذا لم يحصل منه، فقد كان صوت النظام الحاكم في كثير من مواقفه وأقواله، وهذا مما يؤخذ عليه كداعية في منصب مثل هذا، تكون في يده غالباً قضايا مصيرية تهم الأمة الإسلامية.

وكثيرة هي القضايا التي خالف فيها شيخ الأزهر غيره من علماء الأزهر ومشايخه، ومنها:

1- إباحة ربا البنوك:

وبالأخص شهادات الاستثمار التي يصدرها البنك الأهلي المصري، والتي تحدث عنها

---

[1] سيد الطنطاوي، الأحد، بتاريخ 2010/11/28، الهيئة العامة للاستعلامات، أعلام وشخصيات مصرية، http://www.sis.gov.eg/VR/figures/arabic/html/45b.htm#a1.

[2] السابق.

بإسهاب الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه فوائد البنوك هي الربا الحرام، والذي ذكر فيه استغرابه من تغيير الشيخ فتواه، حيث أفتى الشيخ طنطاوي في فبراير 1989م بتحريم هذا النوع من المعاملات البنكية، معلّلاً ذلك بأنها نوع من الإقراض والاقتراض بفائدة محددة مسبقاً وهذا يدخل في مفهوم الربا، ثم أفتى بتحليل هذه المعاملات في سبتمبر من نفس السنة.[1]

ويذكر الدكتور القرضاوي أن هذه الفتوى صدرت من الشيخ طنطاوي بعد استفتاء الدولة له بخصوص شهادات الاستثمار، فتمنى عليه أن يحيل الجواب لمجمع البحوث الإسلامية وهو إحدى هيئات الأزهر الشريف، أو إحالته لرأي عالم مفتي ممن سبقوه، هو أعلم منه في ذلك ولا يريد أن يخالفه فيها، لكنه لم يفعل.[2]

2- رفضه دعوى المقاطعة للبضائع الأمريكية:

مسألة أخرى خالف فيها شيخ الأزهر، المقاطعة للبضائع الأمريكية، ففي مؤتمر من مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية التابع لمشيخة الأزهر، طالب الداعية الإسلامي الشيخ يوسف القرضاوي بمقاطعة البضائع الأميركية مجدداً تأييده للعمليات الاستشهادية، في حين رفض شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي المقاطعة مؤكداً أن الأمر يعود إلى أصحاب الاختصاص.[3]

وقال متسائلاً: "كيف أوافق على مقاطعة أي بضاعة إذا كان ذلك سيلحق ضرراً بالبلاد والعباد؟"، وتابع طنطاوي للصحفيين: "المقاطعة ليس من اختصاصي فأنا رجل دين[4] وهل يجب أن أكون ملماً بكل الأمور؟".[5]

وهذا مما يؤخذ عليه إذ كيف لعالم أن يكون منفصلاً عن قضايا أمته بهذه الصورة، موالياً للأنظمة الحاكمة بهذا الشكل!

---

[1] انظر: فوائد البنوك هي الربا الحرام، د.يوسف القرضاوي، 88-91، ط3، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1415هـ-1994م.

[2] انظر: السابق، 80.

[3] محمد سيد طنطاوي، الأحد، 28 /11/ 2010، موقع القرضاوي، مقال بعنوان: القرضاوي يطالب بمقاطعة البضائع الأمريكية وطنطاوي يعارض، http://www.qaradawi.net/site/topics/article.asp?cu_no=2&item_no=2105&version=1&template_id=204

[4] وهو مصطلح يطلقه أهل الكتاب على أحبارهم ورهبانهم، أما عندنا في الإسلام فيطلق عليه عالم وعلماء في الدين.

[5] المقال السابق، موقع القرضاوي، بنفس التاريخ السابق.

3- موقفه من العمليات الاستشهادية:

وفي المؤتمر نفسه نوقشت قضية العمليات الاستشهادية في فلسطين، فظل على رأيه السابق فيها، والذي لا يعتبر فيه أن من يفجر نفسه من الفلسطينيين في أهداف مدنية إسرائيلية ليس شهيداً.

يقول الشيخ في المؤتمر: "من يفجر نفسه في المعتدين فهو شهيد ولكن ليس في الأبرياء والآمنين والأطفال لأن الإسلام ينهى عن ذلك". وقال مجدداً "إن الفرق بين الجهاد والإرهاب واضح كالفرق بين السماء والأرض"[1].

والكل يعلم ما رأي جل علماء المسلمين في هذه القضية، فقد جدد الدكتور القرضاوي في المؤتمر تأكيده أن العمليات الاستشهادية ضد الإسرائيليين هي "أعلى درجات الاستشهاد"، موضحاً أن إسرائيل مجتمع عسكري لا وجود للمدنيين فيه، وأضاف "إنهم قوم غزاة طردوا السكان الأصليين وهم لا يبالون بمدني أو بعسكري"[2].

كما ردت عليه جبهة علماء الأزهر تحت عنوان (تبرئة وبيان) اعتبرت فيه منفذي العمليات الاستشهادية في فلسطين أنهم أفضل الشهداء، وجواز قيام الفلسطينيين بتفجير أنفسهم، لأن إسرائيل دار حرب وجميع أهلها أهل حرب ولا حرمة ولا عصمة لدمهم[3].

وواضح جداً من هو المستفيد من هذه الفتوى، ومدى مخالفتها مع المنظور الشرعي لهذه القضية؟!.

4- موقفه من التطبيع مع إسرائيل:

وهذا يقودنا لمسألة مهمة وهي التطبيع مع الكيان الصهيوني، فبعد أن قام الشيخ بمصافحته للرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز خلال مؤتمر الأمم المتحدة لحوار الأديان، أثار ذلك ضجة كبيرة في الأوساط الإسلامية، ومن بينها جبهة علماء الأزهر، وعندما طالب بعض النشطاء بعزله من منصبه بسبب موقفه هذا، لم يظهر تراجعاً عن موقفه بمصافحة بيريز، ووصف الرافضين للتطبيع

---

[1] المقال السابق، موقع القرضاوي، بنفس التاريخ السابق.

[2] السابق.

[3] محمد سيد طنطاوي، الأحد، 2010/11/28، مركز المقريزي للدراسات التاريخية، مقال بعنوان الحصاد المر لشيخ الأزهر طنطاوي، بقلم د.هاني السباعي، http://www.almaqreze.net/articles/artcl027.html.

مع إسرائيل بأنهم "جهلاء وجبناء".[1]

وبدوره قال الشيخ سيد عسكر الأمين العام المساعد السابق لمجمع البحوث للجزيرة نت: "إن موقف طنطاوي ليس جديداً أو مستغرباً؛ لأنه "يستند إلى مبرر باطل هو أن النظام المصري في سلام مع الإسرائيليين، وهو يعتبر نفسه موظفاً حكومياً ولا يرى مشكلة في مصافحة اليهود واستقبالهم"، وأشار إلى أن مواقف طنطاوي من العمليات الاستشهادية واستقباله حاخامات ومسؤولين إسرائيليين "أضرت كثيرا بصورة الأزهر لدى الناس، الذين لا يعرف أكثرهم أن مواقف طنطاوي لا تعكس رأي الأزهر الشريف."[2]

وبعد هذا يتضح لنا مدى التساقط الفكري الذي وقع فيه شيخ الأزهر، وتبعيته للنظام الحاكم لا للشرع الحنيف.

5- موقفه من الحجاب والنقاب:

لقد أكد الشيخ الطنطاوي على أن الحجاب فريضة إسلامية لا يحق لأحد أن يمنع المرأة من أداء هذه الفريضة، لكن هذا الكلام منطبق عليها في الأراضي الإسلامية فقط، فإذا خرجت منها كان الحق لأي احد أن يمنعها من ارتدائه؟!

ومن آخر قضاياه التي أثارت جدلاً فكرياً في الأوساط الإسلامية، قضية النقاب واعتباره عادة وليس عبادة[3].

فالجزيرة نت أوردت الخبر كالآتي: "قال طنطاوي في تصريحات أوردتها وكالة الصحافة الفرنسية قبل استقباله وزير الداخلية الفرنسي نيكولا ساركوزي في القاهرة اليوم، إن الحجاب فريضة إسلامية وإذا قصرت المرأة في ذلك يحاسبها الله، ولا يمكن لأي مسلم حاكماً كان أم محكوماً أن يخالف ذلك، غير أنه أكد أن هذه الفريضة تنطبق في حال إقامة المرأة في بلد مسلم وليس في بلد لا يعتنق مواطنوه الإسلام مثل فرنسا"[4].

---

[1] محمد سيد طنطاوي، الأحد، 2010/11/28، الجزيرة نت، الأخبار، http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=1162704، انظر: موقفه من سلامه على بيريز بالصوت على http://www.youtube.com/watch?v=CSWcG6aLjmo&feature=related.

[2] السابق.

[3] محمد سيد طنطاوي، بنفس التاريخ السابق، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_سيد_طنطاوي#cite_note-30

[4] الجزيرة نت، http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=67930، انظر:

وهو بذلك يؤكد حق فرنسا في إصدارها لقرار منع الحجاب في الأراضي الفرنسية، فهل يتوافق هذا مع المنهج الشرعي للأحكام الإسلامية؟!

وكانت من آخر قضاياه التي أثارت جدلاً فكرياً في الأوساط الإسلامية، قضية النقاب واعتباره عادة وليس عبادة، وأمره لإحدى طالبات الإعدادي بخلع نقابها واستهزائه منها ومن أسرتها[1]، ومعنى كون النقاب عادة أي أن ليس له أصلٌ في الشرع، وكلامه هذا باطل.

هذه بعض القضايا التي كانت مخالفته فيها واضحة لعلماء المسلمين ومشايخهم[2]، وهذه المواقف له تدل على تساقطه الفكري أمام النظام الحاكم في مصر، بل وأمام العدو الصهيوني والغربي، وهو في هذا المنصب الحساس الذي يتوقف عليه كثير من قضايا الأمة الحساسة، لقد كان من واجبه أن يخلص لدينه وأمته إذ ولي هذا المنصب، لا أن يفعل العكس كما رأينا من مواقفه السابقة.

وفي عرضنا لهذا الفصل اتضح لنا من النماذج المضروبة الشكل الفردي للتساقط، فهو عقدي مثل تساقط بلعام، وفكري كتساقط الشيخ رفاعة الطهطاوي، وسلوكي جزئي كتساقط بعض الصحابة ثم توبتهم عن هذا السلوك، كما ظهر لنا الشكل الجماعي للتساقط في التساقط العقدي للمعتزلة والفلاسفة، والفكري لجماعة التكفير والهجرة ودعاة تحرير المرأة، والسلوكي بصوره المتعددة، والنماذج على التساقط كثيرة وإنما جئنا بهذه دون غيرها على سبيل المثال لا الحصر.

= تصريحه بالصوت والصورة على الرابط التالي:
.http://www.youtube.com/watch?v=zMCHqFAwXUk&feature=related

[1] محمد سيد طنطاوي، بنفس التاريخ السابق، ويكيبيديا الموسوعة الحرة،
http://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_سيد_طنطاوي#cite_note-30

[2] لمزيد من البيان حول تلك المخالفات كالقول بأن المرأة تصلح أن تكون رئيسة للجمهورية وأنها تتمتع بالولاية العامة التي تؤهلها لشغل المنصب، ومنعه إعادة طبع فتاوى الشيخ جاد الحق لأن بعضها لا يتفق مع فتاواه وغيرها من القضايا انظر: مركز المقريزي للدراسات التاريخية،
.http://www.almaqreze.net/articles/artcl027.html

الفصل الثالث

آثار ظاهرة التساقط وعلاجها في ضوء العقيدة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول– آثار ظاهرة التساقط.

المبحث الثاني– دور العقيدة في معالجة ظاهرة التساقط.

المبحث الأول

آثار ظاهرة التساقط

وفيه مطلبين:

المطلب الأول– آثارها على العقيدة.

المطلب الثاني– آثارها على العمل الإسلامي.

المبحث الأول

آثار ظاهرة التساقط

إن ظاهرة التساقط لها تبعات يتحملها صاحبها في الدنيا والآخرة، كما أنها تؤثر تأثيراً كبيراً على العقيدة الإسلامية وتشريعاتها، كما تسبب إساءات بالغة على ساحة العمل الإسلامي.

"وإذا كان البعض يعتبر سقوط بعض المتساقطين ظاهرة عافية لا بد منها؛ لتجديد الخلايا والتخلص مما يعيق الحركة ويثقل كاهلها ويعتبر كلاً عليها، فإن النتيجة لم تكن خيراً محضاً، وإنما كانت أشبه بسيل أخذ معه الغث والسمين، وصدق الله تعالى حيث يقول: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}**(الأنفال:25)"[1]، وهذه النتائج والآثار هو ما سيتم عرضه في المطالب الآتية:

المطلب الأول- آثارها على العقيدة والتشريع:

إن معيار التزامنا بالعقيدة الربانية السليمة والتشريعات الإلهية هو تمسكنا بالكتاب والسنة، وبمنهج السلف الصالح الذي طبق ما جاء فيهما على أرض الواقع فانعكس ذلك على السلوك والحياة بأسرها، يقول محمد قطب: "كلما اقتربنا من الكتاب والسنة، ومن حياة السلف الصالح رضوان الله عليهم، فنحن متقدمون عقدياً وسلوكياً كذلك بلا شك، وكلما تأخرنا عن الكتاب والسنة وعن حياة السلف الصالح فنحن متخلفون في مجال العقيدة وبالتالي في مجال السلوك"[2].

ولذلك رأينا تراجعاً واضحاً عن منحى العقيدة السوية والتشريع الرباني القويم من قبل المتساقطين، فقد أدخلوا فيهما ما ليس على منهج الكتاب والسنة والسلف الصالح إما جهلاً من عند أنفسهم، أو تخريباً من عدوهم، وذلك ما سنلحظه في آثار هذه الظاهرة على كل من العقيدة والتشريع.

أولاً- أثرها على العقيدة:

"تمتاز العقيدة الإسلامية بأن كل حقيقة من حقائقها تتفق مع فطرة الإنسان ولا تتناقض معها، قال تعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}**(الروم:30)، كما تتفق هذه العقيدة مع العقل كقوة واعية

---

[1] المتساقطون، 7.

[2] واقعنا المعاصر، محمد قطب، 161.

مدركه للحقائق"[1]، لكنها لا تجعل منه القوة الضابطة لأحكامه، وهو ما فعلته بعض الفرق الإسلامية منها المعتزلة كما تحدثنا عنها سابقاً في التساقط العقدي[2].

"لقد خالف المعتزلة السلف في فهم العقائد، وكانت طريقتهم في فهمها عقلية خالصة، وعملوا على تطبيق الأحكام العقلية على العقائد الدينية، وكان أصولهم الخمسة وما تفرع منها من آراء القاعدة الأساسية في محاوراتهم مع النصوص سواء أكانت قرآناً أم سنة، فكان ما يعارض مبادئهم من آيات يؤولونها، وما يعارضها من أحاديث ينكرونها... وكان موقفهم من الحديث كثيراً ما يكون موقف المتشكك في صحته، وأحياناً موقف المنكر له، لأنهم يحكمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل"[3].

فكان ذلك له الأثر الكبير في قضايا العقيدة والتي كان منها:

1- توحيد الأسماء والصفات:

لقد طبق المعتزلة في توحيدهم الله تعالى مبدأهم المأخوذ من قوله تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**(الشورى:11)، وأولوا ما يخالف هذا المبدأ.

ففي الأسماء أثبتوا ألفاظها دون ما تضمنته من صفات الكمال فقالوا: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، حكيم بلا حكمة ، قدير بلا قدرة،[4] ونسوا أن تتمة الآية تقول بعكس ما ذهبوا إليه، قال تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**(الشورى:11).

وفي الصفات دخلوا طائفة النفاة لأن حقيقة مذهبهم هو نفي الصفات الإلهية، لأنهم وإن أثبتوا أن الله تعالى قادر حي عليم، إلا أنهم نفوا أن يكون له قدرة أو حياة أو علم، كما واختلفوا في استحقاقه تعالى لهذه الصفات.[5]

---

[1] دراسات في الفكر، 126-127.

[2] انظر: صفحة 63 من البحث.

[3] المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله، أحمد شوقي العمرجي، 187، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1420هـ-2000م.

[4] انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 291/1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1411هـ-1990م، العقيدة في الله، عمر سليمان أشقر، 223، ط12، دار النفائس، الأردن، 1419هـ-1999م.

[5] انظر: الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً، د.جابر زايد السميري، 59، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، السودان، 1416هـ-1995م.

وقد أوّل المعتزلة الآيات التي تثبت الصفات الفعلية لله تعالى بحجة تنزيهه عن التشبيه والتجسيم، ففي قوله تعالى: **{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}**(الفجر:22) قالوا: أي جاء رسل ربك.[1]

وقالوا: يده نعمته، وقوله تعالى: **{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}**(القمر:14) أي بعلمنا، والجنب بمعنى الأمر في قوله تعالى: **{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ}**(الزمر:56)، وقالوا وجهه هو ذاته.[2]

فهم بذلك حرفوا الألفاظ عن معانيها، وصرفوا المعنى المراد من الله عز وجل، والأسوأ أنهم لم يثبتوا لله تعالى صفات الكمال والجلال على النحو المطلوب، وما فعله المعتزلة في الأسماء والصفات وغيرها من قضايا العقيدة، أحدث اضطراباً فيها، والأصل أن تكون ثابتة لا جدل فيها، تؤخذ من السلف الصالح من صحابة وتابعين كما وردت عنهم دون تغيير، فمنهج المعتزلة العقلي جعل لكل صاحب كلمة مدخلاً للحديث في أمور العقيدة.

وكان من أثر المعتزلة على العقيدة أنهم فتحوا النافذة الأولى التي دخل منها فلاسفة المسلمين إلى علوم اليونان، فصبغوا بها معظم آرائهم وأقوالهم، وحاولوا مزجها في أمور الدين والتوفيق بينهما لأنهما يدرسان الموضوع نفسه، وكانوا أكثر الطوائف الإسلامية تمثلاً للفلسفة اليونانية واستخداماً لها في جدلهم الديني.[3]

ومن القضايا العقدية التي تأثرت بالمتساقطين وبمن كان وراءهم من جهات تخريبية قضية النبوات والتي تأثرت بالحركات الهدامة التي شوهت صورة النبوة وحرفته عن مفهومه الصحيح.

2- النبوات:

"النبوة والرسالة فضل من المولى الأجل سبحانه وتعالى، يؤتيه من شاء ممن سبق علمه وإرادته الأزليان باصطفائه لها".[4]

"فالنبوة اصطفاء واختيار رباني كريم لمن اختاره الله من عباده، وهي أمانة شاقة لا يتحملها إلا صنف فريد من الرجال الأطهار، فالنبوة ليست نبوغاً عقلياً ولا عبقرية شخصية، ولا تكتسب

---

[1] انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي، تحقيق د.فيصل بدير عون، 89، ط1، مجلس النشر العالمي، جامعة الكويت، الكويت، 1998م.

[2] انظر: مقالات الإسلاميين، 290.

[3] انظر: المعتزلة في بغداد، 188.

[4] لوامع الأنوار البهية، 268/2.

اكتساباً، ولكنها تكريم وهبة واصطفاء واختيار من الله **{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}**(الأنعام:124)"[1].

ولكننا رأينا من يعتبر النبوة تكتسب اكتساباً بالرياضات الروحية والجسدية، كما سبق الإشارة إليه[2]، "فقد زعم الفلاسفة أن النبوة مكتسبة، فإن من راض نفسه، وخلصها من الأوصاف الذميمة إلى الأوصاف الحميدة، ولازم الخلوة والعبادة وداوم المراقبة، وإخلاء نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة، إن النبوة فيض يفيض على نفس النبي إذا استعدت لذلك"[3].

فهذا القول ذريعة لكل من سولت له نفسه بادعاء النبوة، وهذا ما حصل فعلاً من أصحاب الحركات الهدامة فكل واحد منهم وصل بنفسه إلى مرتبة النبوة بل والرسالة[4]، وصدق رسول الله ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ)**[5].

وفي قولهم هذا إنكار لعقيدة ختم النبوة، يقول تعالى مكذباً كل من يدعي– بعد سيدنا محمد ﷺ– النبوة والرسالة: **{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}**(الأحزاب:40).

فهذه بعض القضايا العقدية التي عبث بها المتساقطون والأصل أن لا تخضع للاجتهادات والافتراءات فهي أصل الدين، ناهيك عن غيرها من القضايا والمفاهيم التي تعرضت لفساد عند الشباب والجيل المسلم مثل القضاء والقدر ومفهوم الدنيا والآخرة ومفهوم عمارة الأرض ومفهوم العبادة مما أدى بنا إلى تخبط عقدي في حياتنا أتبعه تخبطاً سلوكيّاً.[6]

ثانياً– أثرها على التشريع:

لقد حاول المتساقطون إبعاد الإسلام عن مجال التطبيق، كما حاولوا إقصاءه عن الحياة العامة، متجاهلين قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ**

---

[1] دراسات في الفكر، 119.

[2] انظر: صفحة 64 من البحث.

[3] جوانب من الفلسفة، 202.

[4] انظر: الفرق القديمة والمعاصرة، 354–355.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم(3609)، 200/4.

[6] انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، 160.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}(النساء:59)، واستخدموا في ذلك وسائل شتى تخفى أحياناً عن نظر البعض فكان أثرهم واضحاً على بعض القضايا التشريعية أذكر منها:

1- ربا البنوك:

المعلوم أن المشايخ ورجال الدعوة لهم بالغ الأثر على العامة من الناس، فإذا أفتى العالم منهم بتحليل حرام أو تحريم حلال، فنجد كثيراً من أصحاب الهوى والشهوات يسارع إلى الاتكاء والاعتماد على هذه الفتوى للتحلل من الشرع، ولذلك كان واجباً عليهم تحري الدقة في الإفتاء، وتناول كل الآراء في المسألة الواحدة، وعرضها على الناس عرضاً واضحاً لا لبس فيه.

ولكننا وكما بينا سابقاً[1] قضية تحليل الشيخ الطنطاوي لربا البنوك، مع أنه في قوله الأول عن هذه القضية قد حرمها، وهو في منصبه كمفتي وشيخ للأزهر يتبعه الملايين من الناس في فتواه، فإن قلت لأحدهم إن المعاملات المصرفية من شهادات استثمار وغيرها من قروض يعد من الربا ويجب عليك تجنبه لأن الربا حرام، سيرد بكل بساطة: شيخ الأزهر ومفتي مصر قد أحلها في فتواه الأخيرة، ففي ذلك بالغ الأثر على التشريع الإسلامي القائم على تحريم الربا، قال تعالى: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}**(البقرة:275)، ويقول: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**(آل عمران:130)، وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: **(لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ)**[2].

2- الحجاب:

وهي قضية أخرى كان للمتساقطين فيها قول غير قول الشرع الكريم، فكان لها الأثر البالغ في حياة المرأة المسلمة، وهي من جملة قضايا المرأة المثارة من دعاة تحرير المرأة، وكأن حجابها هو العائق عن تقدمها ورفعتها وقيامها بدورها في المجتمع، وإننا نجد في هذا المقام للشيخ الطنطاوي رأياً كما كان له رأي في سائر قضايا المسلمين، فكان رأيه أن المرأة تلبس الحجاب لكونها في البلاد الإسلامية فقط فهو واجب عليها وفريضة من الله، فإذا خرجت منها كان للحاكم الأجنبي أن يمنعها من ارتدائه وعليها أن تنصاع لأمره.[3]

---

[1] انظر: صفحة 98 من البحث

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله، رقم(4177)، 50/5.

[3] انظر: صفحة 101 من البحث.

وفي قوله هذا ذريعة لكل من أرادت أن تخلع الحجاب في بلاد الغرب؛ بحجة قهر الحاكم لها، وهذا تجنٍّ واضح على الشريعة الإسلامية إرضاءً للغرب الكافر.

ولم يقف الأمر عند ذلك فقضية تحرير المرأة من حجابها طرف من أطراف قضية أكبر وهي تحرر المرأة من التعاليم الإسلامية والدعوة إلى السفور والاختلاط مجاراةً للغرب ومدنيتها على حد تعبير دعاة تحرير المرأة، لكنه لم يزدها إلا تفسخا وجهلاً وإثماً.

يقول الأستاذ سعد الدين صالح: "ومن هنا فكل بلد إسلامي سار في الدرب ذاته وطرح الحجاب الإسلامي، وسمح بالاختلاط، وحرم التعدد وقيد الطلاق، سوف يصيبه ما أصاب أوروبا من التفسخ الخلقي والثورة على سائر حدود الله: **{وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}**(الطلاق:1)"[1].

المطلب الثاني- آثارها على العمل الإسلامي:

إن العمل الإسلامي يتأثر كما العقيدة والشريعة بالتساقط وأفكار المتساقطين، وخصوصاً من جهة الأفراد والجماعات المنشقة عن صف الجماعة المسلمة؛ فقد تنادي هذه الجماعة أو تلك إلى مبادئ غير إسلامية بدعوى التجديد والمعاصرة، وقد تحدث الخلافات والنزاعات بين بعض الجماعات وبعضها بناءً على هذه الأفكار المضطربة.

كما أن وجود جماعات مندسة من قبل الأعداء تدعي الإسلام كان له أثر بالغ في ساحة العمل الإسلامي، وهذا ما سيتضح في النقاط التالية:

أولاً- إضعاف الجماعات الإسلامية:

لقد استطاع الإسلام أن يوحد القلوب ويجمع الأمة على كلمة واحدة وهي كلمة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومنها انطلقت الدعوة الإسلامية، فجابت الدنيا بأسرها ودخل تحت رايتها الملايين من البشر، قال تعالى: **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}**(الأنبياء:92)، ويقول تبارك وتعالى: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**(الأنعام:153).

فالانحراف عن الطريق القويم يؤدي إلى التمزق والتشرذم، وهذا ما يحصل عندما يتخلى عن الصف الإسلامي وعن الدعوة الإسلامية أفرادها، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف في الصف وخلل

---

[1] احذروا الأساليب الحديثة، 218.

فيه، وتمكين للعدو من النيل من جماعات العمل الإسلامي.[1]

وإن الخروج عن صف الجماعة الإسلامية سواء على شكل فردي أم جماعي يؤدي إلى تعدد الجماعات على الساحة الإسلامية بشكل غير منسجم، فتجد جماعة تهتم بجانب واحد من جوانب الإسلام منها ما يهتم بالسياسة فقط، وأخرى بالدعوة فقط، وأخرى بالعبادة والتصوف، مع التعنت والتشبث بالرأي، دون رغبة في الحوار أو التكاتف، فيكون هذا ضعف في تكوينها، ولو أنها وحدت جهودها لتشمل كافة جوانب الإسلام لكانت قوتها مؤثرة أكثر.[2]

ولم يقف الأمر عند اختلاف كل منها في طريقة التربية والعمل، بل تعداه إلى التناحر والتباغض، والتراشق بالاتهامات والشتائم، يصل إلى حد التكفير، على عكس ما أمروا به من الله تعالى ورسوله الكريم صلوات الله تعالى عليه، فقد قال تعالى: **{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**(الأنفال:46)، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا-وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)**[3].

لقد أشاعت ظاهرة التساقط الفتن والأجواء المشحونة في صفوف الحركات الإسلامية، مما أدى إلى التفسخ وخسارة عدد كبير من أفرادها [4]، وليس هذا ما نريده للدعوة الإسلامية.

"إن الإسلام اليوم أحوج ما يكون إلى دعاة يتحلون بالصبر ويتصفون بالحلم، يجمعون القلوب ويقررون أمر العقيدة السليمة ويغرسون شرائع الإسلام الصحيحة في قلوب المسلمين بالتؤدة والأناة والحكمة والموعظة الحسنة، يعاشرون الناس على بصيرة من أمرهم إن رأوهم على صواب تعاونوا معهم وإن رأوهم مخطئين بصَّروهم بالدعوة ودعوهم بالحكمة على ضوء الكتاب والسنة وهدي سلف

---

[1] انظر: المتساقطون،7.

[2] انظر: الشباب المسلم في مواجهة التحديات، عبد الله ناصح علوان، 259-260، ط1، دار السلام، مصر، 1413هـ-1993م.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم(6706)، 10/8.

[4] انظر: المتساقطون، 6.

هذه الأمة رضوان الله عليهم"[1].

إن حالة الضعف والتفرق التي أصابت الحركة الإسلامية أدت إلى زعزعة ثقة الناس فيها، والبعد عنها بل والتطاول عليها؛ مما عطل دورها في المجتمع الإسلامي وأحبطه.[2]

ثانياً- تشويه صورة العمل الإسلامي:

سبق الحديث عن الحركات والجماعات المدسوسة في الصف الإسلامي،[3] وهي مع خطورتها على الدين الإسلامي تشوه صورة العمل الإسلامي وجماعاته.

يقول الأستاذ سعد الدين صالح: "لم يكتف أعداء الإسلام بمحاولة القضاء على الجماعات الإسلامية الملتزمة التي حملت الفكرة الإسلامية في صفائها ووضوحها، وإنما راحوا يخلقون فرقاً وجماعات هدامة نسبوها إلى الإسلام بهدف القضاء عليه من الداخل وبواسطة بعض المنافقين الذين أعلنوا الإسلام وأبطنوا الكفر أو النصرانية أو اليهودية والماسونية"[4].

قال تعالى: **{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً}**(النساء:89)، لقد كان من أهم أهداف هذه الحركات تشويه صورة الإسلام والدعوة الإسلامية، بإظهار عقائد باطلة وتشريعات غريبة عن المنهج الإسلامي، كما كانت السبب في إبراز الفرقة الفكرية وشغلهم بالرد على بعضهم، استنفاذاً لقواهم وجهودهم، وتشويهاً لصورتهم أما العالم الخارجي.[5]

ومما ساعد على تشويه صورة العمل الإسلامي الجماعات الإسلامية المتطرفة المغالية في الدين، والتي لم يكن لها همٌّ إلا تكفير المسلمين والمجتمع والحكومات، والانعزال بنفسها عن باقي المسلمين وهمومهم[6]، كما فعلت جماعة التكفير والهجرة، فهذه الجماعات لم تضف على العمل الإسلامي أي جديد وإنما تراجعت به إلى الهاوية، فأصبح العمل الإسلامي متهماً بسببها بالإرهاب والتطرف والعنف.

يقول تبارك وتعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ**

---

[1] تشويه صورة العمل الإسلامي، الإثنين، 2011/2/28، موقع السكينة للحوار، قضية وحوار بعنوان العنف في العمل الإسلامي المعاصر، http://www.assakina.com/center/meetings/3326.html.

[2] انظر: المتساقطون، 7.

[3] انظر: صفحة 58 من البحث.

[4] احذروا الأساليب الحديثة، 257.

[5] انظر: السابق، 257.

[6] انظر: الشباب المسلم، 267-268، واقعنا المعاصر، محمد قطب، 496-497.

حَوْلِكَ}(آل عمران:159)، قال ابن كثير: "يقول تعالى مخاطباً رسوله ﷺ، ممتناً عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}**، أي: أي شيء جعلك لهم ليناً لولا رحمة الله بك وبهم... ولو كنت سيِّئَ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم"[1]، هذا ما يجب أن يكون عليه المسلم فضلاً عن الجماعة المسلمة، لا أن تنتهج العنف والإرهاب وتسلطه سيفاً على الرقاب.

"إن انتهاج العنف باسم الإسلام لا يسفر إلا عن مزيد من التمكين لمن يناوئ الحكم بما أنزل اللّه، وتفريط بدماء وأرواح شباب كان من المفروض أن تبذل في سبيل الدعوة إلى اللّه والنهوض بأمة الإسلام في شتى ميادين الحياة، لتغدو نموذجاً يحتذى"[2].

كما أن تساقط بعض الأفراد من العمل الإسلامي وخروجهم عن الصف أحياناً يصاحبه تشهيراً من قبلهم على الجماعة والعمل الإسلامي والدعوة، وتشويهاً لصورة الدعوة بقذف الاتهامات هنا وهناك.[3]

كل هذا من شأنه تخريب صورة العمل الإسلامي، والإنقاص من قدره وقيمته، وكل ذلك يصب في خدمة أعداء الإسلام؛ ولذلك هم على حرص دائم للإيقاع بأفراد العمل الإسلامي عن طريق مكائدهم المتعددة.

ثالثاً– إعاقة العمل الإسلامي وتعطيل فريضة الجهاد:

من كل ما سبق من إضعافٍ للعمل الإسلامي وتشويهٍ لصورته أمام المجتمعات الإسلامية والعالمية، ستكون النتيجة الطبيعية لذلك إعاقته عن متابعة العمل في الدعوة، فبدلاً من الانشغال في نشر الدعوة الإسلامية، وتأسيس جيل قائم بالإسلام، تهدر الأوقات والطاقات في معالجة حالة الضعف الحاصل في صفوفها بسبب التساقط، وتحسين صورة العمل الإسلامي الذي شوه سابقاً للأسباب نفسها، وقلّما تجدي نفعاً هذه المعالجات.[4]

وأما بالنسبة لفريضة الجهاد، فهي المستهدفة دائماً وأبداً من قبل أعداء الإسلام، وتعطيلها

---

[1] تفسير ابن كثير، 148/2.

[2] تشويه صورة العمل الإسلامي، بنفس التاريخ السابق، موقع السكينة للحوار، قضية وحوار بعنوان العنف في العمل الإسلامي المعاصر، http://www.assakina.com/center/meetings/3326.html.

[3] انظر: المتساقطون، 7–8.

[4] انظر: السابق، 6.

كان أهم هدف للحركات الهدامة المندسة بين صفوف العمل الإسلامي، خدمة للمستعمر الأجنبي الذي أقلق استقراره فريضة الجهاد في الإسلام، فسعوا بكل ما عندهم من وسائل لتعطيل هذه الفريضة؛ ضماناً لاستقرارهم وأمنهم في البلاد المستعمرة.[1]

ومن هذه الحركات الهدامة القاديانية والتي اعتبرت أن الجهاد حرام، وأنه قد انتهى وقته – أي الجهاد– بعد مجيء القادياني زعيم الفرقة، وأنه منكر يجب تركه والتسليم للحكومة التي أمر الله تعالى بطاعتها، وهي في نظره حكومة بريطانيا الكافرة.[2]

وهو بذلك يسلم زمام أموره وأمور الدولة الإسلامية إلى بريطانيا، وهذا هو السبب الرئيس الذي كان وراء مساندة بريطانيا لهذه الفرقة وأمثالها من الحركات الهدامة.

كما أن فشل الحركات الجهادية في بعض البلاد الإسلامية، أدى إلى استهداف الجهاد من قبل الحكومات الظالمة التي عملت جاهدة لسحقه واستئصاله، وكان فشلها ذريعة لهذه الحكومات لإعاقة العمل الإسلامي ونشر الدعوة الإسلامية.[3]

---

[1] انظر: احذروا الأساليب الحديثة، 257.

[2] انظر: فرق معاصرة، 118/2.

[3] انظر: الشباب المسلم، 264–265.

المبحث الثاني

دور العقيدة في معالجة ظاهرة التساقط

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول- التمسك بالكتاب والسنة.

المطلب الثاني- التربية العقائدية.

المطلب الثالث- لزوم العمل الإسلامي.

المطلب الرابع- تصحيح المفاهيم والتصورات في ضوء العقيدة الإسلامية.

المطلب الخامس-الاعتدال والوسطية.

المبحث الثاني

دور العقيدة في معالجة ظاهرة التساقط

بعد الوقوف على الأسباب المؤدية إلى ظاهرة التساقط فإن هذه الدراسة ومن خلال هذا المبحث ستعنى برسم خطة للنجاة من هذه الظاهرة، وعلاجها بأساليب متعددة، منبعها كتاب الله وسنة نبيه، وما شرع لنا من مناهج تربوية تنبع من عقيدتنا الإسلامية الغراء، علها تجدي نفعاً فتنقذ الغريق، وتوقظ الغافل، فضلاً عن كونها محاولة لتدارك هذه الحالة عبر المنهج الوقائي وهو ما سنبينه في المطالب الآتية:

المطلب الأول- التمسك بالكتاب والسنة:

يقوم الإسلام على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالشطر الأول اعتراف من العبد بكون الله عز وجل هو المستحق وحده للعبادة المنفرد بأسماء الجلال وصفات الكمال، والشق الثاني إقرار من العبد بكون محمد ﷺ رسول الله للأمة بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وهذا هو التمسك بالكتاب والسنة.[1]

وكلما كان الإنسان متمسكاً بالكتاب والسنة كان للحق أقرب، وكلما ابتعد عن منهجيهما كان عنه أبعد، والضلال إليه أقرب، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع قال للناس: (**"تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّى فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟" قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: "اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ"**)[2]. كما أن المتمسك بهما أصبر على مواجهة ومقاومة نزعات الهوى والشيطان، وأثبت على الدعوة وأكثر تحملاً لتبعاتها، وسنذكر فيما يلي نصوصاً حثت على التمسك بالكتاب والسنة وبيان أثر الاعتصام بهما على النفس وأثر الانحراف عنهما، حتى نتوصل بها إلى العلاج الشافي لظاهرة التساقط بأنواعها، فالكتاب والسنة هما المنبع الأول لكل الخير الذي عليه الأمة الإسلامية، ومن دونهما تتساقط الأمة وأفرادها في مزالق الغي والانحراف.

---

[1] انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس، 136/1.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم(3009)، 39/4.

أولاً- نصوص الوحي التي حثت على التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما:

1- نصوص من القرآن الكريم:

أ- قال تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}**(آل عمران:103).

يأمر الله تعالى المسلمين بالاعتصام بالله تعالى وعهده وينهاهم عن التفرقة والاختلاف، ويضمن لهم العصمة عند اتفاقهم، ويبين لهم أن نجاتهم من التفرق هو الالتزام بما كان عليه الرسول ﷺ وصحبه.[1]

يقول الإمام ابن القيم: "والاعتصام افتعال من العصمة وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والمخوف، فالعصمة الحمية، والاعتصام الاحتماء... ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله والاعتصام بحبله ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين، فأما الاعتصام بحبله فإنه يعصم من الضلالة، والاعتصام به يعصم من الهلكة فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده فهو محتاج إلى هداية الطريق والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة وأن يهديه إلى الطريق والعدة والقوة والسلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتها"[2].

ب- قال تعالى: **{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**(آل عمران:101).

يقول ابن كثير: "يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من الذين أوتوا الكتاب، الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، وما مَنَحهم به من إرسال رسوله... وأن الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه؛ فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلا ونهارًا، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم... ثم قال تعالى: **{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** أيّ: ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العُمْدة في الهداية، والعُدَّة في مباعدة الغَواية، والوسيلة إلى

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير، 89/2-90.

[2] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، 460/1، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1393هـ-1973م.

الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد"[1].

ت- يقول تعالى: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}**(الأنفال:24).

قال القرطبي: "أي إلى ما يحييكم، أي يحيي دينكم ويعلمكم، وقيل: أي إلى ما يحيي به قلوبكم فتوحدوه، وهذا إحياء مستعار، لأنه من موت الكفر والجهل"[2].

"فالاستجابة لأمر الله ورسوله فيها النجاة والحياة، حياة القلب ونجاته من أسر الشهوات وقيودها، وحياة العقل وانطلاقه من أغلال الجهل والشك والشبهات، وحياة الإنسان وتحرره من ذل العبودية للبشر، وتحقيق عزته وسموه، وحياة المجتمع بتماسكه وطهارته وقوته، ثم حياة السعادة الأبدية في الآخرة، فما أعظمها من حياة"[3].

ث- يقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}**(النساء:59).

وتأمر هذه الآيات برد الأمور كلها لله تعالى ولرسوله أي للكتاب والسنة ففيهما النجاة من المهالك، وهذا هو منهج السلف الصالح ومن تبعهم من علماء المسلمين.

2- نصوص من السنة النبوية:

أ- عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ[4] رضي الله عنه قَالَ: **وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)**[5].

---

[1] تفسير ابن كثير، 86/2.

[2] الجامع لأحكام القرآن، 484/9.

[3] منهج الإسلام في تزكية النفس، 137/1.

[4] هو عرباض بن سارية السلمي، يكنى أبا نجيح، صحابي مشهور من أهل الصفة، كان قديم الإسلام جداً، سكن الشام، توفي سنة خمس وسبعين.(انظر: أسد الغابة، 19/4، الإصابة، 234/4).

[5] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم(2676)، 408/4، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

لقد كانت وصيته تعالى لصحبه في آخر مواعظه أن يلزموا سنته في مواطن الاختلاف وفي غيرها، فهي المنجية من الوقوع فيه وهي هداية للذي ضل أو تشكك في شيء، والتمسك بها يؤدي إلى تجنب المحدثات في الدين.

ب- عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِى وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِى وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ)**[1].

فكان ذلك تشبيهاً من النبي ﷺ لنفسه بنذير ينذر من جيش غاشم، ومن أطاعه في إنذاره نجى من هذا الجيش ومن هلكته، ومن لم يلتفت إلى ذاك الإنذار أهلكه الجيش واجتاحه، وهذا مثل من تمسك بسنة الرسول ﷺ فكانت نجاة له من المهالك وزلات الهوى والشيطان.

ثانياً- أثر التمسك بالكتاب والسنة وأثر الانحراف عن منهجهما:

كما ظهر من النصوص السابقة وغيرها الكثير، أن الاعتصام بالكتاب والسنة سبيل لصلاح النفس واستقامة السلوك الإنساني، والالتزام بما جاء به القرآن الكريم ومصاحبة النبي ﷺ في سيرته العطرة يقي الإنسان من الوقوع في المهالك والزلات، فرسول الله ﷺ هو القدوة الكاملة لكل الأجيال في الالتزام بالعقيدة الصحيحة والتربية الروحية والنفسية العظيمة.[2]

ورجوع الداعية إلى الكتاب والسنة هو أساس دعوته، فمنها يستقي علومه وأساليب دعوته وطرقها، وإذا حصل الزلل وتهافت الإنسان في الشكوك والضلالات فإن الرجوع إليهما خير وسيلة للرجوع بهذا الإنسان إلى الطريق القويم والسبيل المستقيم، قال تعالى: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**(النساء:65).

"يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا؛ ولهذا قال: **{ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته، رقم(6094)، 63/7.

[2] انظر: الشباب المسلم، 210-214.

أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[1].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، أن التمسك والرجوع بالقرآن الكريم وحده دون السنة النبوية لا يجوز، وقد وجدنا أناس ممن يدعون العلم لا يعملون بالسنة النبوية ويكتفون بالقرآن الكريم، أو أنهم يفرقون بين السنة وبعضها مثلما فعل المعتزلة بردهم لنصوص الآحاد من السنة النبوية، وفي هذا ورد نهي من النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي رَافِعٍ[2] رضي الله عنه وَغَيْرِهِ رَفَعَهُ قَالَ: **(لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ)**[3].

يقول المباركفوري: "لا يجوز الإعراض عن حديثه عليه الصلاة والسلام؛ لأن المعرض عنه معرض عن القرآن، قال تعالى: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}**(الحشر:7)، وقال تعالى: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}**(النجم:3-4) ... وهذا الحديث دليل من دلائل النبوة وعلامة من علاماتها فقد وقع ما أخبر به، فإن رجلا قد خرج في البنجاب من إقليم الهند وسمى نفسه بأهل القرآن، وشتان بينه وبين أهل القرآن بل هو من أهل الإلحاد، وكان قبل ذلك من الصالحين فأضله الشيطان وأغواه وأبعده عن الصراط المستقيم، فتفوه بما لا يتكلم به أهل الإسلام، فأطال لسانه في رد الأحاديث النبوية بأسرها رداً بليغاً، وقال هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله تعالى وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط دون أحاديث النبي ﷺ، وإن كانت صحيحة متواترة"[4].

ثم إن الانحراف عن منهج الكتاب والسنة يؤدي بالطبع إلى الانحراف بأنواعه، الاعتقادي والفكري والسلوكي، وأخطر هذه الانحرافات انحراف العقيدة، فقد بقيت العقيدة تستمد قدسيتها من وحي السماء وتعتمد على الكتاب والسنة فكانت تربي الملكات وتهذب السلوك وترفع الإنسان لتجعل

---

[1] تفسير ابن كثير، 349/2.

[2] هو أبو رافع القبطي، مولى رسول الله ﷺ، يقال اسمه إبراهيم، كان إسلامه قبل بدر ولم يشهدها، وشهد أحداً وما بعدها، مات بالمدينة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.(انظر: أسد الغابة، 102/6، الإصابة، 240/3-241).

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم(2663)، 398/4، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[4] تحفة الأحوذي، كتب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم(2800)، 7/ 425.

منه قوة إيجابية فاعلة، فلما كانت الخلافات السياسية واللجوء للمذاهب الفكرية والدينية الطارئة، والاعتماد على العقل فيما لا قدرة له عليه، كانت النتيجة هو العدول عن منهج الكتاب والسنة في العقيدة، فلم يعد الإيمان بعدها هو ذلك الإيمان الذي تزكو به النفس أو يصلح به العمل أو ينهض به الفرد والأمة.[1]

وهذا كله متضافر في الحث على التمسك بالمصادر الأصيلة للأمة والتي على رأسها الكتاب والسنة، دون التفريق بينهما، وعلى الداعي إلى الله أن يثبت على الحق ويستقيم على صراط الله مهما واجهه من صعوبات وعقبات[2]، والله تعالى يكفل لمن تمسك به وبالحق الحماية من هذه العقبات.

يقول ابن القيم: "والله يدافع عن الذين آمنوا، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب، ويحميه منه فيدفع عنه الشبهات والشهوات، وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه، ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه، فتفقد في حقه أسباب العطب فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها ويدفع عنه قدره بقدره وإرادته بإرادته ويعيذه به منه"[3].

فينبغي لحامل الرسالة والداعي إلى الله أن يعلن أنه مكلف من ربه بأن يؤدي وظائف رسالته وليس لأحد أن يثنيه أو يمنعه من القيام بها، لأنه لا يتلقى الأوامر إلا منه عز وجل، فمهما واجهه من عقبات سيستمر على دعوته وتبليغ رسالته.[4]

المطلب الثاني- التربية العقدية:

إن العقيدة الإسلامية هي الروح التي يحيا بها الفرد حياة طيبة، وهي مصدر العواطف النبيلة ومنبت الأحاسيس الشريفة، فما من فضيلة إلا تصدر عنها ولا صالحة إلا ترد إليها، وهي النور الذي إذا عمي عنه الإنسان ضل عن جادة الطريق، قال تعالى: **{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا**

---

[1] انظر: العقائد الإسلامية، السيد سابق، 14، ط10، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1420هـ-2000م.

[2] انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمن حبنكة الميداني، 283/1، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1417هـ-1996م.

[3] مدارك السالكين،462/1.

[4] انظر: فقه الدعوة إلى الله، 99/2.

يَعْمَلُونَ}(الأنعام:122).[1]

إن للعقيدة مزايا وخصائص جعلت منها العقيدة الوحيدة النافعة لحياة البشرية، ولا يحس بذلك إلا من ترك عقيدته الفاسدة ولجأ إلى العقيدة الإسلامية، فهي عقيدة ربانية فما من ركن فيها إلا موحى به من عند الله تعالى، كما أنها لا تتناقض والفطرة الإنسانية وحتى العقل الإنساني السليم، وهي في يسيرة وبسيطة وواقعية مما سهل على الناس اعتناقها، وفي شمولها غطت كل حاجات البشرية،[2] فكانت بهذا المزايا هي المنجية لمعتقدها من المهالك والزلات، وعلاجاً للمنحرف عن الضلالات.

وللحديث عن التربية العقدية لابد من التطرق إلى الأسس التي تقوم عليها وأهدافها، وأثر ذلك في علاج ظاهرة التساقط:

أولاً- الأسس التي تقوم عليها التربية العقدية[3]:

1-الاعتقاد الكامل بأن الإسلام العظيم هو الدين الحق الخالد الذي أنزله الله على قلب نبيه محمد ﷺ، وهو البلسم الشافي لعلل الإنسانية وأمراضها في كل زمان ومكان.

2-الاعتقاد الصحيح في ذات الله سبحانه وتعالى وفي صفاته وأسمائه وأفعاله وألوهيته وربوبيته.

3-الاعتقاد الراسخ بكمال الشريعة، وصلاحها لكل زمان ومكان، للمسلمين وغير المسلمين.

4-الاعتقاد الصحيح في أن العلاقات الاجتماعية التي جاء بها الإسلام ورسم لها حدودها لهي أحسن العلاقات وأقدرها على أن يتعايش الناس من خلالها في أحسن الظروف وأدناها.

وعلى تلك الأسس تقوم التربية العقدية، فتصحح عقيدته مع عالمي الغيب والشهادة، وتحسن فكره وسلوكه مع نفسه ومجتمعه، وتجعل منه فرداً سعيداً إيجابياً نافعاً ل نفسه ولمجتمعه، ومن هذا المنطلق تحدد أهداف هذه التربية الإسلامية الصحيحة.

---

[1] انظر: العقائد الإسلامية، 12.

[2] انظر: دراسات في الفكر، 126-130.

[3] انظر: منهج التربية عند الإخوان المسلمين، د.علي عبد الحليم محمود، 421/1-422، ط2، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1413هـ-1992م، الشباب المسلم، 72.

ثانياً- أهداف التربية العقدية[1]:

1-إعداد الإنسان العابد لله تعالى وفق ما شرع الله على لسان نبيه ﷺ، بالإيمان بأركان الإيمان الستة على الوجه الصحيح، وتحقيق أركان الإسلام طاعة لله واحتساباً للأجر، وتحصيل العلم والمعرفة الموصلان إلى إرضاء الله سبحانه وتعالى، لتصح الخلافة في الأرض وعمارتها.

2-الإخلاص لله تعالى بهذه العبادة، بالتوجه له وحده، والمقصود بالعبادة معناها الواسع الذي يتجاوز أداء الفرائض والنوافل، فكل عمل صحت فيه النية طابق الشرع كان عبادة لله تعالى، وبغير هذا الإخلاص لا يتم عمل، فإذا تم فلن يكون محققاً لأهدافه[2]، قال تعالى: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}**(البينة:5).

يقول الميداني: "على حامل الرسالة أن يكون مخلصاً لله في أدائه رسالته، متجرداً من المصالح الشخصية الدنيوية لدى من يوجه لهم رسالته، ليكون أداؤه لها بينهم مرجو التأثير"[3].

3-القيام بواجب الاستخلاف في الأرض، وهو عبادته وحده، وعمارة الأرض وفق منهج الله تعالى، قال تعالى: **{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}**(هود:61).

4-العمل على تحقيق منهج الله تعالى في الحياة، فهو وحده الذي يلائم الفطرة البشرية كما سبق وأشرنا، ويتناسق مع ما في الكون من نواميس هي من صنع الله تعالى.

5-كما أن من أهداف التربية العقدية، إعداد الفكر وتنميته تنمية إسلامية متوافقة مع العقيدة الصحيحة والشرع الحنيف.

6-إعداد الجسم وتربيته، فليس الجسم منفصلاً عن عقل الإنسان وخلقه وسلوكه، فهو كل متكامل، لا يسرف في جانب على حساب جانب آخر.[4]

7-تربية الخلق وتزكيته، فالأخلاق الإسلامية تعالج معظم المشكلات التي يعاني منها الناس علاجاً يرتكز على الأخلاق والالتزام الأخلاقي حتى الاقتصادية منها.

8-تربية النزعة الاجتماعية، بمعرفة الفرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات اتجاه أسرته وأولاده والمجتمع الإسلامي حوله.

---

[1] انظر: منهج التربية عند الإخوان، 471-481.

[2] انظر: شبهات التغريب، 402-403.

[3] فقه الدعوة إلى الله، 281/1.

[4] انظر: منهج التربية عند الإخوان، 475، شبهات التغريب، 400.

9-ومنه التربية على الانضباط والطاعة، وتنفيذ الأوامر طاعة مبصرة لا ترتكز على الجهل والعصبية ومعصية الله ورسوله، وإنما ترتكز على مبادئ الشرع ونور العقل، ومصلحة الدعوة والإسلام، والتربية على الأدب والاحترام مع من هم أكبر قدراً وسناً، والمناصرة والتأييد.[1]

ومن هنا نرى أن الأهداف السابقة استطاعت أن تغطي وتعالج أسباب التساقط كلها، فتعميق الإيمان بالله تعالى واستحضار مراقبته يخلّص الفرد من النفاق وآفات الغرور والكبر والإعجاب بالنفس، وباعتقاده أن الأرزاق بيد الله تعالى يتحرر من الشح والبخل والميل إلى الدنيا والركون إليها، وبإيمانه بالقدر خيره وشره إيماناً صحيحاً يتحرر من الخوف والجبن والجزع، ويتحلى بالصبر والإقدام.[2]

كما أن تربيته اجتماعياً وأخلاقياً وملء فراغه بما ينفع وتدريبه على الانضباط والطاعة، كل ذلك من شأنه أن يصحح علاقته مع من حوله من أسرة وجيران، وقيادة في العمل الإسلامي.

أما إعداد الفكر والتزود بالعلوم النافعة فمن شأنه أن يحصن ويعالج الفرد من آفات الغزو الفكري وشبهاته، وذلك كله سيظهر جلياً في آثار هذه التربية على حياة الفرد والمجتمع مفصلاً.

ثالثاً- آثار التربية العقدية على الفرد والمجتمع:

قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ*تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ*وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ* يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}**(إبراهيم:24-27).

روى ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكلمة الطيبة في الآية السابقة، هي شهادة أن لا إله إلا الله[3]، وهي كلمة التوحيد وهي الأساس الذي يقوم عليه البناء، وبه يصلح العمل والسلوك، فما كان أساسه طيباً كانت فروعه طيبة، والكلمة الخبيثة هي الشرك بالله تعالى وما ينبع عنه من قول وعمل كالشجرة دون جذور أو قرار، فالعقيدة الصحيحة تأثيرها يجري على العمل كله ويظهر تأثيره على النفس ظاهراً وباطناً.[4]

---

[1] انظر: الشباب المسلم، 219-221.

[2] انظر: السابق، 215-216.

[3] انظر: تفسير ابن كثير، 491/4.

[4] انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس، 126/1.

1- بعض آثار العقيدة على الفرد:

"إن مواجهة الحياة وما فيها من صعوبات تتطلب شجاعة وثباتاً من جانب الإنسان، فهو مهدد في رزقه وفي حياته، وفي مسكنه، فإذا ربط هذه الأسباب بمن لا يملكها عاش حياته مضطرباً خائفاً، أما إذا ربطها بخالقها وموجدها فإنه لا يخشى شيئاً ولا تهزه الخطوب وهذا ما تفعله العقيدة في نفس المؤمن"[1].

ومن أبرز آثارها في النفس أنها:

أ- تربي النفس وتوجهها نحو المثل العليا وتساعد على استقامة النفس الإنسانية، فالاستقامة هي جوهر الإسلام، قال تعالى: **{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}**(هود:112)، كما أنها تحرره من عبودية الدنيا وما فيها وتجعل ولاءه لله خالصاً وتكسبه طمأنينة كبرى بما يعرف من حسن الثواب على الطاعات وسوء العقاب على المعاصي والزلات.[2]

ب- تبعث في النفس القيم السامية، مثل الثقة بالنفس وقوة العزم والشجاعة والإقدام، فتحرره من سيطرة الغير؛ لعلمه أن الله تعالى معه وهو خير ناصر وخير وكيل، وهو النافع الضار والمحيي والمميت، ومن كان الله معه لا يهون ولا يحزن ولا يضعف، قال تعالى: **{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}**(يونس:58)، وقال تعالى: **{وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}**(الحجر:56).[3]

ت- تحقق للإنسان العزة والكرامة مستمداً من قوله تعالى: **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}**(المنافقون:8)، فلا يكون لأحد سلطان عليه، ولكنها في الوقت نفسه تحفز فيه جانب التواضع وخفض الجانب والرحمة، والتخلص من الكبرياء والغرور وكل ما ينبع منهما من آفات، يقول تعالى: **{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}**(الفتح:29)[4]، وعن أبي هريرة ﵁ عن النَّبِيِّ ﷺ فيما يحكي عن الله جَلَّ وعَلا

---

[1] حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، د.تيسير خميس العمر، 137، ط1، دار الفكر، دمشق سوريا، 1419هـ-1998م.

[2] انظر: السابق، 134-135، دراسات في الفكر، 132-135.

[3] انظر: دراسات في الفكر، 133، حرية الاعتقاد، 137.

[4] انظر: حرية الاعتقاد، 139-140، دراسات في الفكر، 134.

قال: **(الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ...)**[(1)].

ث- "إن العقيدة توجه رغائب الإنسان إلى الخير، وتروض غرائزه بما يحفظ له نفسه، وتصون علاقاته الاجتماعية مع أقرانه من غائلة الهوى والطيش، وتزوده بدوافع التفاعل مع معطيات الوجود، إعماراً للحياة، واشتغالاً في الوقت نفسه في عبادة الله سبحانه"[(2)].

ج- تحرر العقيدة الإسلامية الإنسان من الأوهام والخرافات، فمعتقدها يلجأ إلى الله تعالى في كل أحواله؛ فهو يعلم أن الله تعالى هو النافع الضار المحيي المميت، وإذا آمن بالقدر خيره وشره وتوكل على الله في كل أمره، لن يتخلل إلى ذهنه أي شائبة من وهم أو خرافه، وتخلص في نفس الوقت من آفة نفسية مثل الأثرة والأنانية والجشع.[(3)]

2- بعض آثار العقيدة على المجتمع:

من الصعب الفصل بين تأثير العقيدة على الفرد وتأثيرها على المجتمع، فالمجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد، فكل ما يؤثر فيه يؤثر في مجتمعه، لذا يمكن إجمال أهم هذه الآثار في النقاط الآتية:

أ- تحقيق وحدة المجتمع وبنائه على أساس الفضيلة، فهي تقيم المجتمع على أسس ربانية واضحة، لا على أسس مادية آنية كالقومية أو الإقليمية أو المصلح المشتركة، يقول تعالى: **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}**(الأنبياء:92)، فالعقيدة أداة الانسجام بين الجماعات؛ فهي توحد الروابط بين أصحاب الدين الواحد وإن بعدت الأوطان، وتخلص النفوس من البغضاء والكراهية والأنانية بما تحمله من معاني الحب والرحمة والتآلف بروابط متماسكة، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}**(الصف:4).[(4)]

ب- تنشئ مجتمعاً نظيفاً مستقيماً لا انحراف فيه، فهي تحث على الإحسان والتقوى، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**(آل عمران:104)، كما أنها تربي أفرادها تربية

---

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، رقم(328)، 35/2، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1414هـ-1993م، قال الأرنؤوط: حديث صحيح إسناده قوي.

(2) حرية الاعتقاد، 146.

(3) انظر: شرح أصول العقيدة، 15-16.

(4) انظر: السابق، 164-167، دراسات في الفكر، 135-136.

اجتماعية فاعلة، نابعة من يقينه بالآخرة ورجاء عند الله سبحانه وتعالى لما تكرر المدح للمحسنين في القرآن والسنة المشرفة.[1]

"إن العقيدة إذا وقرت في سويداء القلب وأعماق الضمير، تكون حالة الفرد كحال من يصحبه رقيب، يمنعه من إرادة تجره إلى السوء، ويردعه عن اتخاذ خطوة يخطوها نحو الإثم، يؤنبه ضميره على كل عمل لا يرضاه الإسلام، سواء كان عليه قوة من الأمن العام...أم بينة تدينه ومحكمة تعاقبه، أو رأي عام يلومه على ما يفعله أم لا يكون، ويكون حاله كما قال السحرة عندما آمنوا حين ذكر الله تعالى قولهم: **{فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}**(طه:72)"[2].

المطلب الثالث- لزوم العمل الإسلامي:

إن ما سبق من تربية وإعداد وعلاج قد لا يكفي لتصحيح مسار الفرد وتوجيهه إلى الدعوة إلى الله، لذلك كان لابد له من أن ينضم تحت لواء قيادة إسلامية، فهي تكفل له العمل لنشر رسالة الإسلام بصورة صحيحة، كما وتقويه للتصدي لمؤامرات الأعداء، وتحثه على العمل الدائب لإقامة حكم الله تعالى في الأرض.[3]

إن العمل الإسلامي المنظم يكفل للفرد تصحيح مساره، ورده عند الخطأ، من خلال توعية ثقافية مكثفة، وحصانة فكرية ضد كل ما يحاك من خطط ومؤامرات من قبل أعداء الإسلام، ولكن لا يكفي أن توجد هذه القاعدة الإسلامية للوصول إلى الهدف المنشود، بل لابد من الطاعة والانضباط والنظام عبر وضع خطة يعمل على تنفيذها وإعداد أجهزة شاملة.[4]

أولاً- ما يجب أن يكون عليه العمل الإسلامي وعناصره لحماية أفراده وتصويب أخطائهم[5]:

1- يجب تكوين العمل الإسلامي من جمهور من الملتزمين بالإسلام عقيدة وعملاً، الغيورين عليه، المتحمسين للاضطلاع بمسؤولياتهم نحوه، مع زاد مناسب من الثقافة الإسلامية المتسمة بعمق التفكير، وسعة الأفق، ورحابة، وقوة الحجة، والفاعلية الدائبة.

---

[1] انظر: دراسات في الفكر، 136، حرية الاعتقاد، 162-163، شبهات التغريب، 401، شرح أصول العقيدة، 19.

[2] شرح أصول العقيدة، 170.

[3] انظر: الشباب المسلم، 73.

[4] انظر: السابق، 73-74.

[5] انظر: أجنحة المكر، 755-758.

2- وضع ميثاق إسلامي عام، ودستور وحدوي ثقافي يؤكد على العوامل الجامعة والقواسم المشتركة في حياة الأمة، تجنباً للخلافات والفرقة وبعيداً عن النقاط الخلافية لها.[1]

3- إعداد المصنفات الإسلامية الحديثة، ضمن منهاج تثقيفي إسلامي معاصر، تحت إشراف نخبة من علماء المسلمين الثقات من مختلف الأقطار الإسلامية، متفادية للخلافات المذهبية العنيفة، ما لم تتصل بجوهر العقيدة الأساسية.

4- القيام بتوعية إسلامية عامة، مع تربية حكيمة على الالتزام بتطبيق الأحكام دون عنف أو شدة في بعض الفروع الشكلية، ويجب أن يكون التثقيف بالأساليب المؤثرة التي لا تثير عصبيات الآخرين ولا تحرضهم على الاستمساك بالباطل والإصرار عليه.

5- تبريد حرارة النزاعات المذهبية والانحيازات الحزبية، ومحاور الصراع بينها، والانطلاق من مفهوم الأخوة الشاملة، وذلك من خلال إقامة الندوات والحوارات المشتركة، واللجوء إلى الكتابات المتسمة بالاعتدال، وتكريم كل جهة من جهات الخلاف، وعرض الحق مقترناً بالدليل[2]، يقول تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**(الحجرات:10).

6- فضح دسائس أعداء الإسلام الفكرية والعملية بين المسلمين، وإبراز الصورة الإسلامية المشرقة الحقة، واتخاذ الوسائل الكفيلة بحماية أبناء المسلمين حماية تامة من المواطن التي تكثر فيها شبكات الصيد التي ينصبها الأعداء الغزاة، واستغلال مختلف المشاعر الإنسانية، لإيقاف المسلمين موقف الحذر في مواجهة كل غزو فكري يمس عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ونظمهم الإسلامية ووحدتهم العالمية.

7- تجنب أي صراع مباشر مع أية حركة إسلامية مهما كان نوعها، لأن هذا الصراع من شأنه أن يبدد طاقات المسلمين داخلياً مما يسمح لأعداء الإسلام بان يظفروا بأطراف النزاع، بينما يجب تجميع القوى الإسلامية كلها لمواجهة أعداء الإسلام.

8- التأكيد على عالمية الرسالة، وعالميتها تبنى على التمدد والانفتاح عن طريق توجيه قدر من طاقات العمل إلى بلاد العالم غير الإسلامي لنشر الإسلام الصحيح مع إعطاء صورة سليمة للتطبيق الإسلامي.[3]

---

[1] انظر :السابق، 755، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، طه جابر العلواني، 58-59، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1412هـ-1991م.

[2] انظر: أجنحة المكر، 757، إصلاح الفكر الإسلامي، 61.

[3] انظر: إصلاح الفكر الإسلامي، 61-62.

ثانياً- معرفة فضل الملتزمين بالعمل الإسلامي يساعد في تصحيح المسار ومعالجة التساقط[1]:

1- إنهم من خير الناس لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، قال تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}**(آل عمران:110).

2- إنهم الشهداء على الأمم؛ لقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}**(البقرة:143).

3- إنهم بمنزلة في أعلى المنازل، قال تعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}**(فصلت:33).

4- إن أهل السماء والأرض يستغفرون لهم، عن أبي أمامة الباهلي[2] رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ)**[3].

5- إن أجورهم لا تنقطع ولا تنتهي، فعن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **(مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا...)**[4].

6- إن هداية واحد من البشر خير لهم من الدنيا وما فيها، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: **(فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)**[5].

وبعد أن يعرف السائر على الطريق والعامل في ساحة العمل الإسلامي ما له من فضل وأجر، سيقوم بواجبه على أتم وجه، دون أن يحيط بعمله التقصير ودون التفكير في التقاعس عنه

---

[1] انظر: الشباب المسلم، 201-202.

[2] هو صُدَي بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي، كان من المكثرين في الرواية، سكن حمص من الشام، توفي سنة إحدى وثمانين، وهو آخر من مات بالشام من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.(انظر: أسد الغابة، 15/3، الإصابة، 240/3-241).

[3] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم(2685)، 416/4، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة أو دعا إلى ضلالة، رقم(6980)، 62/8.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من أسلم على يديه رجل، رقم(3009)، 60/4.

أو تركه والركون إلى الدنيا.

المطلب الرابع- تصحيح المفاهيم والتصورات في ضوء العقيدة الإسلامية:

إن إعطاء التصور الصحيح عن الإسلام يعطي لكل صاحب دعوة غير متوافقة مع الشرع، أو من تأثر بها، يعطيه القناعة كل القناعة أن الإسلام هو الوحيد القادر على علاج مشكلات الفرد والمجتمع، وأنه بما اشتمل من أحكام ومبادئ الوحيد والأقوى في مواكبة الحضارة ومسايرة لقضايا الإنسان في كل زمان ومكان.[1]

ففساد التصور واضطراب المفاهيم، يؤدي بصاحبه إلى الحيرة والانحراف لذا لابد من توعية وتبصير للشباب من العاملين في الحقل الإسلامي وغيرهم لكثير من هذه التصورات، وتصحيحها وفق منهجٍ شرعي منضبط، بكل الوسائل المتاحة.

ومع أن وسائل الاتصال الإعلامي في العالم تقع تحت سيطرة أهل الدنيا، والمهتمين بالغزو الفكري ضد الإسلام، وضد الأمة الإسلامية، وليس لحملة الرسالة الإسلامية من دعاة وصالحين إلا القدر اليسير منها، ومع ذلك كله لابد من استخدام ما يستطيع استخدامه من وسائل الاتصال بالجماهير؛ لإحداث التغيير وتصحيح المفاهيم والتصورات الراسخة في أذهان البعض.[2]

وإذا منع حامل الرسالة والداعي إلى الله من الاتصال بالجماهير عبر الوسائل المسموعة والمرئية والمقروءة، فلا بد له من اللجوء إلى الحلقات الأصغر، من مساجد ومدارس أو بيوت، أو حتى عبر كتابة الرسائل بطرق مختلفة ورقية أو الكترونية، وإيصالها إلى الفئات المستهدفة، كل هذا من شأنه تعديل مسار الحائرين، وتصحيح لمفاهيم وتصورات المنحرفين.[3]

أولاً- بعض المفاهيم والتصورات التي يجب أن تصحح من خلال التصور الإسلامي الصحيح لها[4]:

1- مفهوم التجزئة بين العروبة والإسلام، والواقع أن العروبة والإسلام مترابطان ترابطاً جذرياً، فالثقافة العربية هي نتاج الفكر الإسلامي، وهي تمثل وحدة الفكر والشعور.
2- مفهوم تعلم العلوم المستحدثة دون تأصيل مصادرها، بينما هي في جذورها مستمدة من

---

(1) انظر: الشباب المسلم، 187.

(2) انظر: فقه الدعوة إلى الله، 601/1.

(3) انظر: السابق، 602/1-603.

(4) انظر: شبهات التغريب، 412-421.

المناهج الإسلامية التي قام بها أعلام أفذاذ في مختلف المجالات.

3- التصور بأن انحطاط المسلمين والعرب يرجع إلى ارتباطهم بالإسلام، والحق أن سر انحطاطهم إنما يرجع إلى انفصالهم عن الإسلام، فالإسلام هو الذي أنشأ حضارتهم وعزز مكانتهم بين الأمم سابقاً.

4- النظر في الفكر الوافد على أنه حقائق أصيلة تؤخذ دون نظر أو تمحيص، إنما هي تجارب بشرية تخضع للخطأ والصواب والفكر الإسلامي هو وحده الأصيل ذو الجذور العميقة، ومن ذلك أيضا التجاهل لدور العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانية بينما كانوا هم الذين قدموا للدنيا المنهج العلمي التجريبي.

5- التصور بأن في الإسلام طبقة تسمى رجال الدين لهم في علاقاتهم بالإسلام حقوق ليست لغيرهم، ولكنهم علماء دين متخصصون في الدراسات الإسلامية في مجال الفقه والتشريع.

6- التفرقة بين العلم والأخلاق، مع أن الأخلاق هي من أكبر عوامل الضبط في مجال العلم حتى لا ينطلق للتدمير وإذلال الأمم والشعوب.

7- القول بأن القضاء والقدر الإسلامي هو مصدر تخلف المسلمين، لكن مفهوم القضاء والقدر في الإسلام كان –ولا يزال– أعظم حافز للمسلمين لأن يسترخصوا أرواحهم في سبيل الله.

8- استخدام نصوص الشريعة الإسلامية بالتأويل في تبرير أنماط الغرب الفكرية والاجتماعية من قبل المستشرقين ودعاة التغريب.

وبعد فإن هذه بعض التصورات والمفاهيم التي يجب أن تصحح، وتعلن عبر كل وسائل الاتصال بالجماهير حتى لا ينخدع البعض ببريقها وزخرفها الخداع من قبل الأعداء.

ثانياً- بعض المفاهيم التي من شأنها الإبقاء على راية الإسلام والدعوة نظيفة لا شبهات فيها[1]:

1- إن الإسلام يقر التقدم والتطور والتجديد، لكنه يجعله مادياً وروحياً معاً، وليس مادياً على إطلاقه، ويجعل التجديد نابعاً من القديم مرتبطاً به، وإن كل حركة تجديد أو تصحيح يجب أن تنطلق من داخل إطار واضح في ضوء التوحيد ومن خلال القرآن والسنة.

2- إن هذه الأمة قد شكلت والدين جزء منها، والأخلاق عماد مقدراتها، فهي لا تستطيع أن تنفصل عنها لتلتمس أسلوباً آخر أو منهجاً مغايراً.

3- إن فريضة الجهاد لابد أن تدخل حياة المسلمين مرة أخرى كقوة حقيقية بمختلف أبعادها

---

[1] انظر: شبهات التغريب، 389-398.

القائمة على التضحية بالأنفس والأموال.

4- ليس الإسلام خادماً للمجتمعات، وإنما هو حاكم، له مقوماته المستقلة التي لا تخضع للمذاهب المختلفة، وليس الإسلام مطية لأهواء البشر ولا لانحرافات الحضارة والمجتمعات.

5- إن المذاهب الفلسفية الحديثة في الأخلاق والاجتماع والنفس إنما تريد أن تحطم الإنسان العربي المسلم القادر على المقاومة، فليست القيم الإسلامية قيماً أخروية غرضها أن تعزل الفرد عن مجتمعه، بل هي قيم إنسانية تدعو إلى بناء الحياة والحركة فيها والعمل.

6- على المسلمين أن يواجهوا خصومهم من داخل إطار فكرهم، وليس بمفاهيم وافدة وقيم مضللة، واعتقادات جاهلية ومادية.

7- إن أبرز ما في مفاهيم الإسلام أننا نستطيع أن نأخذ كل شيء ونصهره في بوتقة التوحيد، العلم والتكنولوجيا والحضارة، ولا نقبل إلا ما يتفق مع أصول الإسلام، ونرفض كل ما يتعارض مع حدود الله دون تأويل أو اعتذار بحالة الضرورة.

8- الإسلام يدعو إلى وحدة الجنس البشري، وينكر المفاضلة بالأنساب أو الألوان، بعكس الدعوات القائمة على العصبيات والعرقية والعنصرية.

9- انتصر المسلمون بالتربية الصالحة، وبناء الأجيال وصياغتها على الإيمان والرجولة، ثم إعادة صياغتها كلما واجهتهم الأزمات وفي مختلف الأحداث الضخام.

وهذه التصورات وهذه المفاهيم تنهض بمعتقدها إلى درجات الفهم الصحيح للإسلام الحنيف، دون أن تخالجه أي شبهات وشكوك ضده، ولا بد للعاملين في الحقل الإسلامي وضع هذه المفاهيم نصب أعينهم، حماية لهم من الزلل أو الميل عن دعوتهم بسببها.

المطلب الخامس- الوسطية:

قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}**(البقرة:143)، قال القرطبي: "قوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}**، المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، والوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها...ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً، أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم"[1].

فهذه ميزة اتصفت بها أمة محمد ﷺ، فهي أمة وسطية، تحتكم لشريعة ربانية وسطية لا

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، 2/433-434.

إفراط فيها ولا تفريط، متوازنة بين مطالب الروح والجسد، فهي وسط في العقائد والمفاهيم الدينية، وسط في الأحكام الشرعية، وسط في السلوك الديني، ولذلك كان للملتزم بهذا الشرع الحنيف شرف الشهادة على الناس يوم القيامة بأن أتاهم نذير، فهم الوسط العدول.

"والوسطية تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام بالذات دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف أو شذوذ في الاعتقاد، ولا تهاون ولا تقصير، ولا استكبار ولا خنوع أو ذل أو استسلام وخضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة"[1].

وإن الداء الذي يصيب الدعاة وغيرهم من أصحاب الملل، لهو واقع بين أمرين، الأول داء التهاون والتفريط في دركات متنازلات، حتى دركة الانسلاخ الكلي، والثاني داء المبالغة والغلو في انحراف يوهم أنه صاعد، حتى درجة الانسلاخ الكلي أيضاً.[2]

فالتفريط في الدين يكون بتقليص حدود الله تعالى، أو بمجافاة هذه الحدود وعدم القيام بأي حق من حقوق الدين، ويكون ذلك بسبب عدم الاهتمام بالمحافظة على هذه الحدود، وذلك بسبب عدم الانتماء إلى الدين أو الولاء له، أو من انعدامهما، والتفريط في الدين إن لم يكن من مستوى الكفر والجحود، فهو إتباع للهوى وإيثار للشهوات.[3]

والغلو في الدين يكون بتجاوز حدود الله فيه توسعاً في مساحة الدين المحددة، وذلك بسبب المبالغة في الاندفاع القوي دون بصيرة، بغية الظفر بأعلى الدرجات في الدين، وغالباً ما يصاحب ذلك تعمق محدود، واضطراب في الرؤية، وفساد في تصور الحقيقة، أو بسبب اجتهادات تؤدي إلى سوء فهم لحقيقة الدين، إما منه أو من إمامه وقائده.[4]

ولذلك كان المنهج الوسط العدل، هو الأقدر على صون الإنسان من الوقوع في الزلل

---

[1] أثر الوسطية والاعتدال في حياة الفرد والمجتمع، أخذ يوم الثلاثاء، 2011/3/8، مجلة الوعي الإسلامي، مجلة كويتية شهرية جامعة تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الكويتية، العدد رقم(532)، تاريخ العدد 2010/9/3، بحث بعنوان الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، أ.د.وهبة الزحيلي،
http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=1056&issue=481

[2] انظر: الالتزام الديني منهج وسط، عبد الرحمن حبنكة الميداني، 6، دون رقم طبعة، دون دار نشر، دون تاريخ.

[3] انظر: السابق، 45.

[4] انظر: السابق، 45-46.

وحمايته من الانحراف والتساقط، فهو يضمن الفهم الصحيح للدين دون تعصب أو تنطع مهلك، وهو الذي يضمن انضباطاً بالاعتقادات الدينية والأحكام الشرعية دون التفريط فيها أو تقليصها.

وفيما يلي أثر الوسطية في المجتمع وملامحها في العقيدة والأحكام والأخلاق:

أولاً- أثر الوسطية على المجتمع[1]:

إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، وانعدمت الحريات التي هي تعبير عن الوسطية، وقع المجتمع فريسة الأمراض الفتاكة، والانحرافات القاتلة.

إن للوسطية آفاقا بعيدة المدى، لأنها إيجابية النفع، فتكاد السلبيات أو الأخطاء تنعدم أو تكون في طريقها إلى الذوبان والنسيان مع هذه الوسطية.

فهي تفرز آثاراً اجتماعية ملموسة، من إشاعة المحبة، وتنامي المودة، والابتعاد عن التعصب، والأحقاد، وتوافر الثقة للآخرين وإحسان التعامل معهم.

وأثرها في أحوال الأسرة والمجتمع واضح فيما تشيعه من طمأنينة وشعور بالاستقرار، وتفرغ للإنجاز والعطاء، والتزام الحق والعدل، والبعد عن الشر والفتنة والفساد في الأرض، فما من مشكلة اجتماعية تثور إلا وكان سببها شذوذا في التخطيط والعمل، أو انحرافاً عن المقصد الشريف، أما حال الوسطية فهي من أهم الأسباب الداعية إلى الاستقرار والوئام، وإسعاد الفرد والجماعة، وتقدم المدنية وازدهار الحضارة.

ثانياً- ملامح الوسطية في العقيدة:

إن أساس رسوخ العقيدة أو الإيمان الصحيح في النفس هو الاقتناع العقلي والفكري بها، وعقيدة المسلمين تنسجم مع مختلف القدرات العقلية، البسيطة منها أو المتوسطة أو المتفوقة، فهي تعتمد على البساطة والوضوح والبرهان الحسي الملموس، وكذلك أصحاب العقول المفكرة يزدادون قناعة وإدراكاً لها، بل وتعمقاً في آفاقها.[2]

وقد يطرأ على العقائد نوع من التفريط أو الغلو والحياد عن الوسط، فيحصل التهاون في

---

[1] انظر: أثر الوسطية والاعتدال في حياة الفرد والمجتمع، بنفس التاريخ السابق، مجلة الوعي الإسلامي، العدد رقم(532)، تاريخ العدد 2010/9/3، بحث بعنوان الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، أ.د.وهبة الزحيلي، http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=1056&issue=481.

[2] انظر: السابق.

بعض العقائد مثل التوحيد، وخصوصاً توحيد الأسماء والصفات، مثلما حصل من المعتزلة[1]، والتفريط في اعتقاد الفلاسفة في الذات الإلهية عدم العلم بالجزئيات وقصر علمه على الكليات[2].

أو يحصل العكس من غلو وتطرف في بعضها مثل الغلو في النبي ﷺ، والأصل ما عليه سلف الأمة من وسطية وعدل في الأنبياء ومنهم سيدنا محمد ﷺ فلا يُفَرِّطون تفريط اليهود في أنبيائهم ولا يُفرِطون فيهم مثل النصارى[3].

لذلك كان الحل في هذا السياق التزام الوسطية والرجوع إليها كلما أحس الفرد والداعية في نفسه ميلاً ولو يسيراً عن الحق الواضح المبين.

ثالثاً- الوسطية في الأحكام والقيم:

الأحكام الشرعية كلها قائمة على اليسر والسماحة والتوسط والاعتدال، لتكون سهلة التطبيق والممارسة على مختلف الناس في حال القوة والضعف، وفي وقت الإقامة والسفر، وفي حال الصحة والمرض، وفي سن الشباب والكهولة والشيخوخة، ونجد مصداق ذلك آي القرآن وأحاديث السنة الشريفة، والآية الجامعة للعبادات القائمة على اليسر هي: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا}** (البقرة: 286)، **{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا}**(التغابن: 16)[4].

يقول تعالى: **{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**(البقرة:229)، وتعدي حدود الله تعالى يكون مخالفاً للوسطية التي رسمت حدوده، فالمتعدي إما يحرم ما أحل الله، أو يحل ما حرمه الله، أو يوجب ما لم يوجبه، أو يستبيح ترك ما أوجبه الله فهو بين غلو وتفريط[5]، والحل في ذلك التزام الأوامر والنواهي بحسب ما جاءت في الكتاب والسنة مع العلم بفقهها دون التجاوز إلى آراء ذاتية أو أفهام خاطئة.

أما القيم الإسلامية فإنها "وسطية، تلك الوسطية الانتقائية لا التلفيقية، فقد عمد الإسلام إلى

---

[1] انظر: الالتزام الديني، 51.

[2] انظر: السابق، 54.

[3] انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة التميمي، 689/2، ط1، أضواء السلف للنشر، الرياض، السعودية، 1418هـ-1997م.

[4] انظر: أثر الوسطية والاعتدال في حياة الفرد والمجتمع، التاريخ السابق نفسه، مجلة الوعي الإسلامي، العدد رقم(532)، تاريخ العدد 2010/9/3، بحث بعنوان الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، أ.د.وهبة الزحيلي، http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=1056&issue=481.

[5] انظر: الالتزام الديني، 70.

القيم الجيدة عند العربي فأبقاها وضبطها، وأضاف إليها، وزود الإنسان بقيم ليعيش عالمه المادي والمعنوي في توازن دقيق، وزوده بقيم تهتم بالفرد كما تهتم بالجماعة، كما وازن بين الدنيا والآخرة، القوة والرحمة ... الخ وبهذا كانت معبرة تعبيراً صحيحاً عن الفطرة البشرية والطبيعة الإنسانية، في واقعية كاملة"[1].

"والأخلاق في الإسلام وسط، لقيامها على الاعتدال، فهي من أجل تهذيب النفوس، وترقيق المشاعر، وصفاء القلوب من الأمراض الحسية والمعنوية، وهي ذات أغراض إنسانية كريمة، لا نفعية مادية محضة"[2].

والنبي ﷺ خير قدوة في هذا السياق، فهديه كان أحسن الهدي وقد طبق تلك الوسطية في القيم والأخلاق وتتبعه من بعده صحابته الكرام إلى حد بعيد، فقد كان ﷺ متوسطاً ومعتدلاً في سلوكه وتعامله، في قوله وفعله، في طعامه وشرابه، ولباسه ومسكنه، ومات وهو على ذلك.[3]

هذا ما يجب أن يكون عليه كل مسلم وكل داع إلى الله وكل جماعة إسلامية ابتغت في عملها وجه الله تعالى، فالتزمت بحدوده دون تجاوز أو طغيان، ودون إهمال أو تفريط، والعودة إلى هذه المعاني الرائدة يعصمها من الوقوع في الزلات والانسلاخات هي وأفرادها، بل والرجوع إليها خير علاج لمن وقع حقاً في الزلل، أو انسلخ عن طريق الدعوة الإسلامية الرشيدة.

---

(1) نضرة النعيم، 82/1.

(2) أثر الوسطية والاعتدال في حياة الفرد والمجتمع، التاريخ السابق نفسه، مجلة الوعي الإسلامي، العدد رقم(532)، تاريخ العدد 2010/9/3، بحث بعنوان الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، أ.د.وهبة الزحيلي، http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=1056&issue=481.

(3) انظر : نضرة النعيم، 147/1.

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة المتواضعة عن ظاهرة التساقط في العمل الإسلامي، وإبراز الأسباب التي تؤدي إليها، وبيان أشكالها وأصنافها، ووضع بعض الحلول الوقائية والعلاجية المناسبة لها، خلصت الباحثة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

أولاً- النتائج:

1- العمل الإسلامي هو تلك المنظومة المتكاملة التي يعمل خلالها الأفراد والجماعات بهدف إحياء تعاليم الإسلام في حياة الناس وإقامة الخلافة الإسلامية، وفق هدي النبوة.

2- يمكننا تعريف ظاهرة التساقط بعد دراسة المعاني اللغوية للفظة التساقط، بأنها الانسلاخ الكلي أو الجزئي للفرد أو الجماعة عن الإسلام عقدياً أو فكرياً أو سلوكياً.

3- العقبات التي تواجه الداعية كثيرة، تؤدي إلى تساقطه وثنيه عن الدعوة، منها ما يتعلق بذات الداعية، وأهمها ضعف الوازع الديني، وعدم الإخلاص لله تعالى، وأمراض القلوب.

4- محيط الداعية يؤثر في تمسكه بدعوته، فالأهل والأقارب والجيران، وحتى الجماعة الإسلامية-وما يكتنفها من مشاكل داخلية وتنظيمية-، قد تكون سبباً في ثنيه عن دعوته أو تساقطه كلياً.

5- تشكل الضغوط الخارجية من غزو عسكري وفكري، وأنظمة حاكمة، خطراً على الدعاة، تحتاج منهم وعياً فكرياً وتمسكاً بالمنهج الإسلامي الحنيف لمجابهتها.

6- تتعاون معظم الأنظمة الحاكمة في البلاد الإسلامية مع الغرب الكافر لتحقيق مصالحهم في محاربة الإسلام ودعاته.

7- الدعوة الإسلامية تنطلق من خلال الأفراد والجماعات، مما يظهر لدينا شكلين من أشكال التساقط، تساقط على مستوى الأفراد آخر على مستوى الجماعات.

8- تتفاوت درجات التساقط، فمنه ما يؤدي إلى الخروج عن الملة كالتساقط العقدي، ومنه ما هو أقل كالتساقط الفكري والذي ينتج عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، وغيرهما من الأسباب.

9- التساقط السلوكي هو أقل درجات التساقط، وقد وقع فيه من الدعاة.

10- ظاهرة التساقط تكررت عبر التاريخ من لدن آدم إلى عصرنا الحديث، والنماذج على ذلك كثيرة ذكرنا بعضها في هذه الدراسة.

11- لقد أثرت ظاهرة التساقط على بعض جوانب العقيدة والتشريع، وعلى ساحة العمل الإسلامي، والذي أثر بدوره على المجتمع الإسلامي ككل.

12- لقد كان من أهم آثار التساقط على العمل الإسلامي إضعاف جماعاته وتشويه صورة العمل الإسلامي على الصعيدين الداخلي والخارجي.

13- إن التمسك بالكتاب والسنة هو أول خطوات النجاة من هذه الظاهرة.

14- التربية العقدية تحصن الداعية والشخصية المسلمة عامة من الانحراف والزلل.

15- إن العمل الإسلامي المنظم يكفل للفرد تصحيح مساره ورده عن الخطأ عند وقوعه، كما يكفل حماية فكره عن الانحراف.

16- تكفل العقيدة الإسلامية تصحيح المفاهيم والتصورات عند الدعاة فتحميهم من التساقط.

17- الوسطية والاعتدال في حياة الفرد والمجتمع تصونه من الوقوع في الزلل وتحميه من الانحراف والتساقط.

ثانياً- التوصيات:

1- توصي الباحثة بتفعيل دور المساجد والمدارس في إبراز مخاطر هذه الظاهرة والوقوف على سبل علاجها، لتداركها قبل وقوعها.

2- كما توصي بعمل دراسة موسعة حول أثر التساقط والمتساقطين على العقيدة الإسلامية والتشريع الإسلامي.

3- كما توصي الباحثة الجماعات الإسلامية بأخذ هذه الدراسة والوقوف على ما فيها من نصائح؛ حتى نصحح المسيرة الدعوية ونتجنب الوقوع في أخطاء قد تكون سبباً في عزوف وتساقط أفراد الجماعة أو انحراف كلي للجماعة.

المراجع

- **القرآن الكريم.**

أولاً: الكتب:

1- الابتلاء والمحن في الدعوات، د. محمد عبد القادر أبو فارس، ط1، دار الفرقان، عمان، 1407هـ- 1986م.

2- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د.محمد محمد حسين، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1402هـ1982م.

3- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف ياسر بن إبراهيم، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، 1420هـ-1999م.

4- إحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د.سعد الدين السيد صالح، ط1، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، مصر، 1419هـ- 1998م.

5- الإخوان المسلمون 70 عاماً في الدعوة والتربية والجهاد، د.يوسف القرضاوي، ،31، ط1،مكتبة وهبة، مصر،1420هـ-1999م.

6- الإخوان المسلمون والدولة الإسلامية، أ.السيد يوسف، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997م.

7- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دون رقم طبعة، دون بلد النشر، دون تاريخ نشر.

8- إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، طه جابر العلواني، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1412هـ-1991م.

9- الالتزام الديني منهج وسط، عبد الرحمن حبنكة الميداني، 6، دون رقم طبعة، دون دار نشر، دون تاريخ.

10- آفات على الطريق د.السيد محمد نوح، ط8، دار الوفاء للنشر، المنصورة، مصر، 1413هـ-1992م.

11- أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، فتحي يكن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.

12- أجنحة المكر الثلاثة التبشير الاستشراق الاستعمار وخوافيها دراسة وتحليل وتوجيه، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط8، دار القلم، دمشق، سوريا، 1420هـ- 2000م.

13- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط5، دار القلم، دمشق، سوريا، 1420هـ-1999م.
14- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق علي معوض، عادل عبد الموجود، دون رقم طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
15- أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام، د.محمد أمان الجامي، راجع الكتاب عبد الرحمن الفريوائي، 217-218، دون رقم طبعة، شركة العبيكان للنشر والطباعة، 1404هـ-1984م.
16- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
17- أعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دون رقم طبعة، دار الجيل، بيروت، 1973م.
18- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، د.سيد بن حسين العفاني، ط1، دار ماجد عسيري، السعودية، 1424هـ-2004م.
19- الأمثال في القرآن، أبو عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق إبراهيم بن محمد، ط1، مكتبة الصحابة، طنطا، مصر، 1406هـ- 1986م.
20- أمراض القلوب وشفاؤها، تقي الدين أحمد بن تيمية، شرحه وقدم له د. محمود مطرجي، ط1، دار القلم، لبنان، 1406هـ-1986م.
21- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، التراث العربي، الكويت،1415هـ-1994م.
22- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، د.مصطفى الخالدي، د.عمر فروخ، دون رقم طبعة، المكتبة العصرية، لبنان، 1986م.
23- التجديد في الفكر الإسلامي، د.عدنان محمد أمامة، ط1، دار ابن الجوزي، 1424هـ.
24- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
25- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، مراجعة وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، أبواب النكاح، باب ما جاء في من ترضون دينه وخلقه، حديث(1090)، ط2، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1383هـ-1963م.
26- تخليص الإبريز في تلخيص باريز، رفاعة الطهطاوي، دون رقم طبعة، الهيئة المصرية العمة للكتاب، التنوير، مصر، 1993م.

27- تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، ط5، دار الشروق، مصر، 1424هـ-2003م.
28- التربية السياسية عند جماعة الإخوان المسلمين، عثمان عبد المعز رسلان، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، دون تاريخ نشر.
29- تعديل السلوك الإنساني، أ.د.جمال الخطيب، ط1، مكتبة الفلاح ودار الحنين، 1423هـ-2003م.
30- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ.
31- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، راجع الأصل وخرج الأحاديث د.أحمد عمر هاشم، دون رقم طبعة، مطابع أخبار اليوم، مصر، دون تاريخ نشر.
32- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، دون رقم طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.
33- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله m والصحابة والتابعين، الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط1، مكتبة نزار الباز، الرياض، السعودية،1417هـ-1997م.
34- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، ط2، دار طيبة للنشر، دون بلد نشر، 1420هـ-1999م.
35- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، دون بلد نشر، 1420هـ-1999م.
36- تفسير آيات من القرآن الكريم، محمد بن عبد الوهاب التميمي، حققه محمد بلتاجي، دون رقم طبعة، الناشر جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، دون تاريخ نشر.
37- تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ-2001م.
38- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف، ط1، دار السلام، مصر، 1418هـ -1997م.
39- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد الأزهري، تحقيق عبد العظيم محمود، مراجعة محمد علي النجار،390/8-393،الدار المصرية للتأليف والترجمة.
40- الثوابت والمتغيرات في العمل الإسلامي، د.صلاح الصاوي، دون رقم طبعة، دون بلد النشر، المؤلف، 1900م.

41- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، حققه وخرج أحاديثه محمد شاكر، راجع أحاديثه أحمد شاكر، ط1،مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1420هـ-2000م.
42- الجامع الصحيح، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، دون رقم طبعة، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، دون تاريخ نشر.
43- الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م.
44- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله m وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.
45- الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب الحديث)، حنا الفاخوري ومجموعة، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986م.
46- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1،مؤسسة الرسالة، لبنان، 1427هـ-2006م.
47- جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان، ط1، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام، بريطانيا، 1412هـ-1991م.
48- جند الله ثقافةً وأخلاقاً، سعيد حوى، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1412هـ-1992م.
49- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دون رقم طبعة، مكتبة الإيمان، القاهرة، دون تاريخ.
50- جوانب من الفلسفة اليونانية والإسلامية، د.صالح الرقب، ط1، دون دار نشر، 1423هـ-2003م.
51- حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، د.تيسير خميس العمر، ط1، دار الفكر، دمشق سوريا، 1419هـ-1998م.
52- حقائق عن الفكر الإسلامي، د.عبد اللطيف فرفور، ط1، دار المكتبي، دمشق، سوريا، 1423هـ-2002م.
53- حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة التميمي، ط1، أضواء السلف للنشر، الرياض، السعودية، 1418هـ-1997م.

54- الحل الإسلامي فريضة وضرورة، د.يوسف القرضاوي، دون رقم طبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1394هـ-1974م.
55- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، لبنان، دون تاريخ نشر.
56- دراسات في الفكر العربي الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني ومجموعة، ط7، دار الفكر، عمان، الأردن، 1418هـ-1997م.
57- دروس في العمل الإسلامي، سعيد حوى، ط1، دار السلام، حلب، سوريا، 1401هـ-1981م.
58- الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، د. صادق أمين، دون رقم طبعة، دون دار نشر، 1978م.
59- الدعوة إلى الله أصولها ووسائلها وأساليبها، د.يحيى علي الدجني،ط1، دون دار نشر أو بلد نشر،1426هـ-2006م.
60- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، 69، دون رقم طبعة، دار ابن خلدون، الاسكندرية، مصر، دون تاريخ نشر.
61- الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ نشر.
62- رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، لد.محمد عمارة، ط1، دار المستقبل العربي، 1984م.
63- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دون رقم طبعة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، 1410هـ-1990م.
64- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، ط1، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، 1411هـ-1991م.
65- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ-1994م.
66- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، دون رقم طبعة، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، 1415هـ-1995م.
67- سلسلة مدرسة الدعاة، عبد الله ناصح علوان، ط2، دار السلام، 1424هـ- 2004م،.
68- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دون رقم طبعة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، دون تاريخ طبعة.

69- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستياني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دون رقم طبعة، دار الفكر، دون تاريخ نشر.
70- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ-1993م.
71- السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق وليد سلامة، خالد عثمان، ط1، مكتبة الصفا، مصر، 1422هـ-2001م.
72- الشباب المسلم في مواجهة التحديات، عبد الله ناصح علوان، ط1، دار السلام، مصر، 1413هـ-1993م.
73- شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دون رقم طبعة، المكتب الإسلامي، سوريا، 1398هـ - 1978م.
74- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي، تحقيق د.فيصل بدير عون، ط1، مجلس النشر العالمي، جامعة الكويت، الكويت، 1998م.
75- شرح أصول العقيدة الإسلامية، د.نسيم شحدة ياسين، ط5، دون دار نشر، غزة، فلسطين، 1429هـ-2008م.
76- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ط3، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر،1415هـ-1994م.
77- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي، تحرير وتقديم د.سعد الدين إبراهيم، ط1، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، 1988م.
78- الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً، د.جابر زايد السميري، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، السودان، 1416هـ-1995م.
79- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1414هـ-1993م.
80- صحيح مسلم بشرح النووي، محي الدين بن شرف النووي،ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1392هـ.
81- صيد الخاطر، أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي، تهذيب وتعليق أسامة السيد، ط5، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان،1417هـ-1996م.
82- الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين بن محمد بن علي جابر، ،ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1408هـ-1987م.

83- طريق الدعوة في ظلال القرآن، أحمد فائز، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405هـ-1984م.
84- طريق الدعوة، مصطفى مشهور،دار التوزيع والنشر الإسلامية،مصر،1415هـ-1995م ،بدون رقم طبعة.
85- ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1414هـ-1993م.
86- العقائد الإسلامية، السيد سابق، ط10، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1420هـ-2000م.
87- العقيدة في الله، عمر سليمان أشقر، ط12، دار النفائس، الأردن، 1419هـ-1999م.
88- علم نفس الدعوة، د.محمد زين الدين، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1415هـ- 1995م.
89- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود العيني، ضبط وتصحيح عبد الله محمود عمر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ- 2001م.
90- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة، رقم(4291)، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ.
91- غزو في الصميم، دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والسلوكي، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط3، دار القلم، دمشق، سوريا، 1410هـ- 1990م.
92- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله أيام الجاهلية، حديث رقم(3628)، دون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ نشر.
93- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفراييني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دون رقم طبعة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1416هـ-1995م.
94- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د.غالب بن علي عواجي، ط3، دار البينة للنشر، مصر، 1418هـ-1997م.
95- فصول في الإمرة والأمير، سعيد حوى، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، 1402هـ- 1982م.
96- فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء الكتاب والسنة، د. يوسف القرضاوي، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر،1421هـ-2000م .

97- فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1417هـ-1996م.

98- الفكر الإسلامي بين الابتداع والإبداع، د.محمد أحمد عبد القادر، دون رقم طبعة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، دون تاريخ نشر.

99- الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية، أنور الجندي، دون رقم طبعة، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دون تاريخ نشر.

100-فوائد البنوك هي الربا الحرام، د.يوسف القرضاوي، ط3، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1415هـ-1994م.

101-في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ط8، دار الفكر، لبنان، 1973م.

102-في ظلال القرآن، سيد قطب، ط10، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1402هـ- 1982م.

103-في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا، ركن الثقة، د.علي عبد الحليم محمود، دون رقم طبعة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1420هـ-1999م.

104-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ نشر.

105-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي التقي الهندي البرهان فوري، تحقيق، بكري حياني – صفوة السقا، كتاب الخلافة مع الإمارة، باب الترغيب في الإمارة، رقم(14328)، ط5، مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م.

106-لسان العرب، جمال الدين محمد ابن منظور ،تحقيق عبد الله الكبير، محمد حسب الله،هاشم الشاذلي،2038/3، دار المعارف، القاهرة،1900م، دون رقم طبعة.

107-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني، ط2، مؤسسة الخافقين، دمشق، سوريا، 1402هـ-1982م.

108-ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دون رقم طبعة، مكتبة الإيمان، مصر، دون تاريخ.

109-المتساقطون على طريق الدعوة كيف ولماذا؟،فتحي يكن،ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1404هـ-1984م.

110-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، دون رقم طبعة، مكتبة القدسي،1414هـ-1994م.

111-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1393هـ-1973م.
112-مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، د.عمر عبيد حسنة، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، السعودية، 1414هـ- 1994م.
113-المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، دون رقم طبعة، دار الفكر، لبنان، دون تاريخ.
114-المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، دون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ نشر.
115-مسند الإمام احمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومجموعة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1421هـ-2001م.
116-مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن بهرام الدارمي، تحقيق حسين سليم الداراني، دار المغني للنشر، الرياض، السعودية، 1421هـ-2000م.
117-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، دون رقم طبعة، المكتبة العصرية، دون تاريخ نشر.
118-معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق،دون رقم الطبعة ودون تاريخ الطبعة.
119-المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله، أحمد شوقي العمرجي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1420هـ-2000م.
120-معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، تحقيق محمد أمين الجكني، دون رقم طبعة، مكتبة دار البيان، الكويت، دون تاريخ نشر.
121-معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ نشر.
122-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات ومجموعة، تحقيق مجمع اللغة العربية، دون رقم طبعة، دار الدعوة للنشر، دون تاريخ نشر.
123-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1411هـ-1990م.
124-منهج الإسلام في تزكية النفس، د.أنس احمد كرزون، ط2، دار ابن حزم، 1418هـ-1997م.

125-منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط10، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1412هـ-1992.
126-منهج التربية عند الإخوان المسلمين، د.علي عبد الحليم محمود، ط2، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، 1413هـ-1992م.
127-نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان أشقر، ط5، دار النفائس، الأردن، 1416هـ-1996م.
128-نحو وعي حركي إسلامي، مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن،ط3، مؤسسة الرسالة، لبنان،1394هـ-1974م.
129-نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط1، مطبعة سفير، الرياض، السعودية، 1422هـ.
130-نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن ملوح، ط1، دار الوسيلة للنشر، جدة، السعودية، 1418هـ-1998م.
131-نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، عمر عبيد حسنة، ط1، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، 1405هـ-1985م.
132-نظرات في واقع الدعوة والدعاة، مصطفى الطحان، ط1، دار الوثائق، الكويت، 1406هـ-1986م.
133-واقع المسلمين أمراض وعلاج، د. عدنان رضا النحوي، 248، ط2، دار النحوي للنشر والتوزيع، السعودية، 1416هـ- 1995م.
134-واقعنا المعاصر والغزو الفكري، د.صالح الرقب، ط5، دون دار نشر، 1423هـ-2003م.
135-واقعنا المعاصر، محمد قطب، ط1، دار الشروق، مصر، 1418هـ- 1997م.

ثانياً: المواقع الإلكترونية:

1- مجلة الوعي الإسلامي، مجلة كويتية شهرية جامعة تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الكويتية، العدد رقم(532)، تاريخ العدد 2010/9/3، بحث بعنوان الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، أ.د.وهبة الزحيلي
http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=1056&issue=481.
2- الجزيرة نت و الجزيرة نت للأخبار،

.http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=67930

3- موقع السكينة للحوار، قضية وحوار بعنوان العنف في العمل الإسلامي المعاصر، http://www.assakina.com/center/meetings/3326.html

4- الهيئة العامة للاستعلامات، أعلام وشخصيات مصرية، http://www.sis.gov.eg/VR/figures/arabic/html/45b.htm#a1

5- موقـع القرضـاوي، مقـال بعنـوان: القرضـاوي يطالـب بمقاطعـة البضـائع الأمريكيـة وطنطاوي يعارض، http://www.qaradawi.net/site/topics/article.asp?cu_no=2&item_no=2105&version=1&template_id=204

6- مركـز المقريـزي للدراسـات التاريخيـة، مقـال بعنـوان الحصـاد المـر لشـيخ الأزهـر طنطاوي، بقلم د.هاني السباعي، http://www.almaqreze.net/articles/artcl027.html

7- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_سيد_طنطاوي#cite_note-30

8- معجم الغني موقع عجيب/ (http://lexicons.sakhr.com/)

9- موقع اليوتيوب/ http://www.youtube.com/watch?v=CSWcG6aLjmo&feature=related، http://www.youtube.com/watch?v=CSWcG6aLjmo&feature=related.

فهرس الآيات

#	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
36	فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ...	المائدة	31	82، 75
37	مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا...	المائدة	32	80
38	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا...	المائدة	77	69
39	وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ...	الأنعام	10	26
40	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...	الأنعام	59	64
41	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ...	الأنعام	90	32
42	أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ...	الأنعام	122	122
43	اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...	الأنعام	124	108
44	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا...	الأنعام	153	55، 110
46	يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ...	الأعراف	31-32	75
47	وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ...	الأعراف	58	21
48	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ...	الأعراف	175	6، 83
50	سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ...	الأعراف	177	83، 85
51	إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ...	الأعراف	201	11
52	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا...	الأنفال	24	أ، 118
53	وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ...	الأنفال	25	أ، 105
54	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ...	الأنفال	27	74، 89
56	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ...	الأنفال	36	47
57	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...	الأنفال	46	32، 57، 111
60	وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...	الأنفال	73	36
61	أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى...	التوبة	109	11
62	لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...	التوبة	117	91-92
63	وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً...	التوبة	122	55
64	قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ...	يونس	58	125
65	هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ...	هود	61	123
66	فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ...	هود	112	125
67	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ...	يوسف	108	16
68	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ...	إبراهيم	24-27	124
69	قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ...	الحجر	56	125
70	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا...	النحل	43	29
71	وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا...	الكهف	49	63
72	فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ...	الكهف	110	11

#	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
73	فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ...	طه	72	127
74	إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً...	الأنبياء	92	110، 126
76	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ...	الحج	11	56
77	وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً...	المؤمنون	52	3
78	عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...	المؤمنون	92	64
79	الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...	الفرقان	59	29
80	الم...	العنكبوت	1–3	10
81	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...	الروم	30	105
82	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا...	الروم	69	77
83	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ...	الأحزاب	21	71
84	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ...	الأحزاب	40	108
85	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ...	فاطر	5	20
86	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ...	الزمر	9	15
87	قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ...	الزمر	11–12	11
88	أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا...	الزمر	56	107
89	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا...	فصلت	33	129
90	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ...	فصلت	46	63
91	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...	الشورى	11	106
92	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ...	الفتح	29	125
93	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...	الحجرات	10	128
94	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا...	الحجرات	12	76
95	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا...	الذاريات	56	2، 73
97	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى...	النجم	3–4	120
98	تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا...	القمر	14	107
99	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ...	القمر	49	62
100	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ...	الرحمن	7–9	16
101	يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ...	المجادلة	11	58
102	وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...	الحشر	7	120
103	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا...	الممتحنة	1	88
104	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ...	الصف	4	33، 57، 126
107	وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ...	المنافقون	8	125
108	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ...	المنافقون	9	74

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية	#
74	15	التغابن	إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ...	109
135	16	التغابن	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ...	110
21	20	الحديد	اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...	111
110	1	الطلاق	وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ...	112
73	5-1	المزمل	يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ...	113
63	48	المدثر	فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ...	114
107	22	الفجر	وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ...	115
123	5	البينة	ومَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ...	116
19	5-1	الفلق	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ	117

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة

"التساقط في العمل الإسلامي ودور العقيدة في معالجته"

يدرس هذا البحث ظاهرة التساقط في العمل الإسلامي ويبرز دور العقيدة الإسلامية في معالجة هذه الظاهرة، ففي الفصل الأول من هذه الدراسة نبرز الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى وقوعها، فهي داخلية متعلقة بالفرد وبما يحيطه من أجواء اجتماعية وتنظيمية، وخارجية تتعلق بالأنظمة الحاكمة والغزو العسكري والفكري.

كما يوضح الفصل الثاني من هذه الدراسة أشكال وأصناف ظاهرة التساقط، فهي تحدث للجماعات كما تحدث للأفراد، وتتعدد أصنافها بين عقدية وفكرية وسلوكية، وعلى هذه الأشكال والأصناف ضربنا النماذج التوضيحية اللازمة.

وهذه الظاهرة بالغة الأثر على العقيدة والتشريع والعمل الإسلامي، وهذا ما وضحه الفصل الثالث من الدراسة، كما وضع منهجيةً وقائيةً وعلاجيةً لهذه الظاهرة تضمن سلامة الفرد والجماعة من الانحراف والزلل، وكان من أهم هذه المنهجيات التمسك بالكتاب والسنة والتربية العقدية للفرد والمجتمع.

ABSTRACT

“The Break up In Islamic Action and The Role of Islamic Faith in Treating It”

This research is dedicated to address a critical and frequent phenomenon, which is “**the break up in Islamic action** and **the role of Islamic faith in treating it”**. The first chapter exposes the main causes that lead to the break up in Islamic action; where they involve internal causes that are related to the individual and its social and organizing surroundings, and external causes that are related to the governing regimes and both military and intellectual invasion.

The second chapter describes the phenomenon in terms of its types and classes, as it’s significantly influencing at the level of individuals and groups. It involves several classes, where it’s whether faith-based, intellect-based, or behavior-based. There are also various examples given in the chapter expose these types and classes.

As the effects of “**the break up in Islamic action”** phenomenon are very critical and pivotal on Islamic faith, legislation, and action, the third chapter focuses on the extent of its influences that may start with slight deformations in the Islamic character, and accessing to the disabling the entire Islamic aspects at the level of individual and society. This chapter discusses also the role of Islamic faith in treating this phenomenon and cleansing the Islamic society from falling in its trap. It also addresses a preventive approach that may inhibit the break up and guide to the right and robust Islamic action. The adherence to Holy Quran and Sunnah is one of those most significant proposed approaches, as well as, adopting faith-based education for both individual and society.